الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الرومانسيـــــــة بيـــن الشابـــي و رمضـــان حمّـــود

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- بشرى ميروح
*- لبنـــى شبـــاح

إشراف الأستاذ(ة):
عبد الحفيظ بوريـــو

السنة الجامعية: **2014/2013**

اهـــــــــداء

من علمك حرفا صرت له عبدا، و من علّمك كلمة صار أباك، و من علّمك كلمتين باعك و اشتراك

الى من وجهنا بالنصائح و كان سندا و عونا لنا

الى من زرع فينا الامل و الثقة

الى من كانت الكلمة الطيبة عنوانا له

الى من كان مثالا للمعاملة الحسنة

الى أستاذنا المشرف:« عبد الحفيظ بوريو»

بكل حب و احترام نهديك ثمرة جهد انتجتها يداك

بشرى LOUBNA

تشكرات

« و لئن شكرتم لأزيدنكم »

بفضلك ربي تم انجاز هذا العمل، فالحمد و الشكر لك يا رب العالمين.

نتقدم بكامل الشكر و الامتنان لكل من ساندنا لإتمام هذا العمل الجد متواضع، من قريب أو من بعيد، و نستهل ذلك بسندنا في هذه الحياة و هما العائلتين الكريمتين: « شباح و ميروح».

كما لا يفوتنا أن نشكر أستاذنا المشرف« عبد الحفيظ بوربو » الذي لم يبخل علينا بأي توجيهات و كان عند حسن ظننا كما لا ننسى الأستاذ سليم بوعجاجة، و الأستاذة فطيمة بوقاسة على كل إضافة منحانا ايها خدمت الموضوع.

و نتوجه بالشكر أيضا الى كل فريق العمل بمعهد الادب و اللغات فردا فردا،ا لذين لم يبخلوا علينا بالعون و مد يد المساعدة عند الحاجة اليهم و خاصة زملاءنا: سفيان، نجوى ،أمال، فطيمة ،ابتسام ،أمينة و فهيمة و شكر و امتنان الى الصديقات : منال، زوينة، ليلى، ايمان اللاتي منحننا الثقة لإتمام المشوار.

فشكرا لكم جميعا، راجين من المولى عز و جل أن يعود بالنفع و أن يساعد الاجيال القادمة في تزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها .

شكرا آمين يا رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة

* لطالما كانت الرومانسية مذهبا مناهضا للكلاسيكية، حيث استلهمها شعراء الغرب قبل العرب، مما تأثروا به و عايشوه في مجتمعاتهم ، فمرّة تمثّلت في صورة الهروب من الواقع و مرّة أخرى في صورة التنفيس عن الذات فكان لهذا المذهب الوقع و الأثر الكبير على البلدان العربية، و خاصة المشرقية منها التي أنتجت لنا مدارس و تيارات تبنّت هذا المذهب وفق معايير مختلفة ، كما كان هذا الأثر بارزا في بلدان المغرب العربي و تحديدا في الجزائر و تونس من خلال الشاعرين الفتيّين اللذين دعوا إلى تبني أفكار الرومانسية ، هذا الموضوع الذي نال أكله من الدراسات المتفرقة و التي استقينا منها بوادر اختيارنا معالجة هذا البحث من منطلق أن الدراسات الكافية و الوافية دائما كانت تصبّ في بحر المشارقة دون المغاربة ، الذين مسّهم التهميش، بالرغم من أنّ الدعوات التجديدية انبعثت من الجزائر و تونس ، و كان لها وزن على الصعيد العربي شعرا و نقدا مثّله كل من أبي القاسم الشابي في (تونس)، و رمضان حمّود في (الجزائر)، هذان البلبلان اللذان ذبلت زهرة عمريهما في سن مبكرة مثلهما مثل باقي الرومانسيين الغربيين أمثال بايرون و جون تيس ممن لم تتعد أعمارهم الأربعين سنة، و اللذين شاعت في بدايتهما الشعرية المبكرة مظاهر النبوغ و الموهبة و التي مثلت حالة ثوريّة في أشعارهما بروح رومانسية.

يفضي بنا هذا إلى طرح مجموعة من الإشكاليات نحاول الإجابة عنها في خضم معالجتنا للموضوع: ما الرومانسية؟، ما أثرها في الأدب العربي و تحديدا في المغرب العربي؟ من هما الشابي و حمّود؟ وما هي أوجه التشابه و التباين في شعرهما؟.

- فنحن بهذه الدراسة و رغم كل محاولاتنا الجهيدة في إضفاء صبغة جديدة تُضاف إلى كل دراسة سبقت و إن تناولت كل شاعر على حدة مثل دراسات أبي القاسم محمد كرو في كتابه « الشابي حياته وشعره » ، وإيليا الحاوي في كتابه «الشابي شاعر الموت والحياة» أما حمود رمضان فمن خلال دراسات صالح خرفي ومحمد ناصر ومحمد الهادي بوطارن حاولنا أن يبقى بحثنا مجرّد محاولة لتبيان أهم الأسس و الروافد التي أثرت و تأثر بها شاعرانا في قصائدهما و التي من خلالها استنبطنا أوجه التشابه و أوجه التباين معتمدين في ذلك على عدّة مناهج تمثلت في المنهج التاريخي ، الوصفي التحليلي، و حتّى المنهج الإحصائي ، حيث جاءت دراستنا وفق خطة ممنهجة استهللناها بمقدمة ثم تليناها بثلاثة فصول آخرها تطبيقي ثم خاتمة .

- ولقد اشتمل الفصل الأول المعنون ب: الرومانسية وأثرها في الأدب العربي مبحثين هما : 01- مفاهيم في الرومانسية، 02- مقاربات بين الرومانسية الغربية و الرومانسية العربية، والفصل الثاني موسوم ب: الرومانسية في أدب المغرب العربي شمل هو الآخر مبحثين هما:01- الرومانسية في الشعر التونسي الحديث،02- الرومانسية في الشعر الجزائري الحديث وختمنا الدراسة بفصل تطبيقي معنون ب: الرومانسية بين الشابي و حمّود من خلال إبراز أوجه التشابه و التباين بينهما في مبحثين : 01- من حيث الموضوعات المتناولة،02- من حيث الظواهر الفنية. ثم خاتمة شملت النتائج المتوصل إليها من معالجة هذا الموضوع،كما اعتمدنا في دراستنا على مصادر و مراجع في مقدمتها ديوان أغاني الحياة للشابي و مجموعة قصائد حمود من خلال عدة مراجع أهمها كتاب محمد ناصر: «حمود رمضان حياته و آثاره».

- وشأننا شأن أي باحث صادفتنا جملة من الصعاب نجملها في طول المادة و صعوبة إيجازها، و في الأخير لا يسعنا إلا أن نثني على أستاذنا المشرف و كل من ســـــاهم في إثراء هذا البحث ليرى النور بنصيحة أو معلومة عسى أن يكون فاتحة لدراسات جديــدة، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

الرومانسية و أثرها في الأدب العربي

I. الفصل الأول: الرومانسية و أثرها في الأدب العربي

1 -المبحث الأول: مفاهيم في الرومانسية.

- تعريف الرومانسية

أ الرومانسية في الاصطلاح.

ب -الرومانسية كمذهب.

ج الإطار الزمكاني للرومانسية.

1 -المبحث الثاني :مقاربات بين الرومانسية الغربية

والرومانسية العربية

الفصل الأول:الرومانسية و أثرها في الأدب العربي.

1 -المبحث الأول: مفاهيم في الرومانسية

- **تعريف الرومانسية**

أ - الرومانسية في الاصطلاح:

إن محاولة تعريف الرومانسية و الوقوف على معنى اصطلاحي لها أمر يشوبه الكثير من التردد و الحيرة ، حيث يرى أكثر الباحثين أنها ذات خصائص تختلف بقدر الأدباء و الفنانين في عواطفهم و ميولا تهم ، و الوقوف على تعريف واحد لها ضرب من المستحيل ،حيث اختلف حتى في أصلها و جذرها اللغوي ، فمنهم من يرى أن كلمة الرومانسية مشتقة من الجذر اللغوي "رومانيوس"– Romani us– التي أطلقت على اللغات و الآداب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة، ومنهم من يرى أن " رومانس" لفظة اسبانية تدل على نوع من الصياغة الشعرية المؤلفة من مجموعة أبيات ثمانية المقاطع تكون فيها الأبيات الزوجية مشتركة في القافية و الأبيات الفردية مطلقة ، وآخر يرى أن المصطلح يعود إلى الأصل الفرنسي " Roman" و معناه في العصر الوسيط حكايات المغامرات شعرا و نثرا ، ثم أخذت مصطلحات أخرى بانتقالها إلى باقي لغات أوروبا، فصارت في الانجليزية"Romanticisme" و في الألمانية"Romantik" و نجدها مشتركة في الايطالية و الاسبانية "Romanticismo" .وقد كان له دلالات متعددة منها : القصص الخيالي و التصوير المثير للانفعال، الفروسية ، المغامرة ، الحب ،المنحى الشعبي.و قد ترجم إلى اللغة العربية بمصطلحات مختلفة منها: الرومانسية ، الرومنطيقية الرومانتيكية[1] و قد دخل المصطلح المعاجم لأول مرة عام 1755 م على يد "صمويل جونسون" الذي أشار إلى أن الرومانسية تساوي خيال و حرية الإبداع و الفن و انتشر هذا التعريف في انجلترا .

أما في فرنسا فهي تدل على الاستجابة العاطفية أمام مشهد طبيعي رائع

[1] ينظر : محمد غنيمي ، هلال: الرومانتيكية ، دط، ، مطبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د ت ، ص4

[1]،أما الألمان فقد أخذوا الدلالات المعاصرة حيث رأى فريدريك شيلجل عام 1798م "أن الرومانسية هي الأصالة و الاستقامة في نموذج الحياة و التعبير النقي الجميل كما أطلق عليه الشعر العالمي التقدمي [2].

و يمكن أن ندرج بعض التعريفات الأدبية لمجموعة من الأدباء الغربيين، لنقف على مدى الاختلاف بينهم في تعريفها حيث يقول ستاندال:"إن الرومانسية هي الفن الذي بموجبه نقدم للشعوب في حالتها الراهنة من العادات و المعتقدات أعمالا أدبية جديرة بأن نعطيها أكبر قدر من المسرة" فستندال يربط الرومانسية بالإنسانية ، فالهدف السامي للرومانسيين هو بث السعادة في الشعوب ، حيث تأخذهم الرحمة بالجنس البشري و يثورون على الظلم و الفساد في المجتمع، و سلاحهم في ذلك هو الأدب.

أما سوميه"soumet"فيرى أنها:" الأدب الذي يتوخى التوغل أكثر فأكثر في أسرار قلوبنا ، و يملك كتابه " عبقرية الانفعالات ". فنجد أن هذا الكاتب يربط الرومانسية بالوجدان و العاطفة و التجربة الشخصية و هو يتفق مع هيجو حين يقول " على الشاعر أن ينهل عبقريته من روحه و من قلبه ، فالقلب عنده هو مصنع الأفكار الرومانسية التي يحلق بها الخيال إلى عوالم سامية.

و جاء في مقدمة " هرناني" لفيكتور هيجو التعريف التالي " الرومانسية هي الليبرالية في الأدب و هي ند الليبرالية السياسية التي أقيمت كما يزعم في ملكية تموز" و عرفها سولينيهفي كتابه " الرومنطيقية في الأدب الفرنسي" بقوله :" الرومانطية بمعناها الواسع ، مجموعة من الميول صبغت قرنا بأكمله..."

و منه يتضح لنا أن الرومانسية تتخذ لنفسها ألف وجه و تتزين بأبهى الصور مما يصعب تعريفها، إذ لا تـوسو على معنى واحد ، فلكثرة معانيها لم تعد تعني شيئا كما قيل، فهي اضطراب الخيال و إيحاء باللامحدود ،هي الهروب إلى الطبيعة و السكن إليها ، هي عاطفة يكرسها الخيال ؛ هي وصف لكل تيار يميل إلى الإبداع وينفر من النموذج ،

---

[1]ينظر:ليليان–ر–.فرست: الرومانسية،ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة"موسوعة المصطلح النقدي"،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1983،ص161

[2]ينظر دونكان، هيث وجودي، بورهام : أقدم لك الرومانسية،ترجمة:عصام حجازي ،ط4 المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، مصر، 2002،ص5.

و يرفض إتباع السائد أي أنه يعني كل ما هو مقابل لكلمة كلاسيكي لذلك وصف بالرومانسية شعراء وروائيون و مسرحيون عاشوا قبل عصر الرومانسية مثل شكسبير ، كالديرون، موليير و دانتي لأنهم جاؤوا بأدب جديد و لم يهتموا بالأشكال القديمة .

ب - الإطار الزمكاني للرومانسية

إن لكل حركة فكرية أو أدبية جديدة عوامل وظروف تنشأ بينها ووسطها، والرومانسية بدورها كانت ميلادا أدبيا ونقديا وفكريا عرفته أوروبا في قرنها السابع عشر،بدافع عوامل وبين ظروف وسياقات مختلفة،نعرضها الآن لنعرف حقيقة نشأة المذهب وصدى تطوره ونجاحه . إن مذهبا بحجم الرومانسية لا يمكن أن يظهر زمنيا فجأة بل هو نتيجة تراكم أفكار ومبادئ عبر مراحل زمنية مختلفة أدت في الأخير إلى تبلور الفكر والوعي الرومانسي،لذلك نجد اختلافا في أوساط الباحثين والدارسين لضبط الظرف الزمني لنشأة هذا المذهب فعبد العزيز عتيق يقول "عاشت الحركة الرومانسية نحو قرن من الزمان ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر"[1]

- أما فؤاد المرغي فيرى بأن نشأة هذا المذهب كانت مصاحبة لأحداث الثورة الفرنسية (1789-1794)فيقول" :..وفي هذه الظروف الاجتماعية -التاريخية -نشأ الاتجاه الأدبي الذي عرف في ما بعد باسم الرومانتيكية [2] و لمحمد مندور رأي آخر في هذا الجانب حيث يقول: " لو نظرنا إلى نشأة الرومانسية بفرنسا منذ أوائل القرن التاسع عشر لوجدنا أنها لم تكن لتتغلب فيها على الكلاسيكية ذات الجذور العميقة [3] بناء على الآراء السابقة للباحثين نجدان الظرف الزمني لنشوء وميلاد هذا المذهب غير محدد بدقة،فهو محصور بين أواسط القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر.

مثلما اختلف في تحديد زمني واضح لظهور الرومانسية ونشأتها،اختلف في تحديد البلد أو المكان الذي عرف ولادة الرومانسية ، إلا أنه ورغم الاختلافات تبقى فرنسا هي مهد الرومانسية الأول عند معظم الدارسين والباحثين،ويستدلون على ذلك بأن جون جاك

---

[1] عبد العزيز، عتيق: النقد الأدبي الحديث ،ط2، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان ، 1972، ص 246.

[2] فؤاد ،المرغي : المدخل إلى الآداب الأوروبية ، ط2 ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، دت ، ص81.

[3] محمد، مندور : الأدب ومذاهبه ،دط،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،دت، ص 61.

روسو(1712- 1778) كان من أوائل الذين ظهرت في أدبهم سمات وخصائص الفن الرومانسي، كما أن الميدان الرئيسي للصراع بين الكلاسيكية و الرومانسية كان فرنسا و ذلك بسبب ميل الفرنسيين الشديد إلى التنظير، بالإضافة إلى المؤثرات التاريخية فالثورة الفرنسية كان لها أثر كبير في ازدهار الرومانسية ،حيث أنها تلتقي كثيرا في شعاراتها ومبادئها مما صاغه الفكر الرومانسي نموذجا في الأدب والحياة ، و ما عزز نسبة الرومانسية إلى فرنسا بشكل أكبر هو ظهور أديب بحجم شاتوبريان -1848 (1768)،شاتوبريان * الذي يعدّ بمثابة الجد الأكبر للأدباء الرومانسيين في ما بعد،إليه ينتسب كل أديب فرنسي رومانسي وغير فرنسي ،فأدبه نموذج رومانسي خالص بفضل ما ضمنه من عودة إلى الطبيعة ونبذ للعلاقات السائدة في تلك المجتمعات، والدعوة الخالصة والصادقة إلى الدين المسيحي[1].

ج - <u>الرومانسية كمذهب</u>

* يقول محمد مندور< ...المذاهب الأدبية حالات نفسية عامة ولدتها حوادث التاريخ و ملابسات الحياة في العصور المختلفة ، و جاء الشعراء و الكتاب و النقاد فوضعوا للتعبير عن هذه الدلالات النفسية أصول و قواعد تتكون من مجموعها المذاهب ، أو ثاروا على هذه القواعد و الأصول لكي يتحرروا منها ،وبذلك خلقوا مذهبا جديدا ، على نحو ما ثار الرومانتيكيون على الكلاسيكية>[2].

فقد ظل المذهب الكلاسيكي هو المذهب السائد في أوروبا مند القرن السابع عشر حتى أواخر القرن الثامن عشر و قد تمتع بسيادة طويلة الأمد . و لأن كل مذهب يقوم على أنقاض مذهب آخر تبعا للظروف و الخصائص التي تميز فترة زمنية عن أخرى – كما أشار إلى ذلك محمد مندور– فقد ظهر المذهب الرومانسي على أنقاض المذهب الكلاسيكي

---

[1] ينظر:أمال،فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي،دط،مطبعة دار المعارف،القاهرة ،مصر،دت، ص6.

[2] محمد، مندور: الأدب و مذاهبه ، ص 40 و نقلا عن شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب و الغربيين، دط ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1999 ،ص 145.

*فرانسوا رينيه دو ، شاتوبريان(1768–1848) ولد في سان مالو شمال فرنسا ، واحد من أهم الشخصيات في الأدب الفرنسي الرومانسي، تصف روايته أتالا(1801) قصة حب مأساوية بين هنديين من هنود أمريكا الشمالية، و الرواية هي نموذج لاهتمام الرومانسية الأوروبية بالموضوعات البدائية و غير المألوفة.

نظرا للتغيرات التي حصلت في العالم الأوروبي مع ظهور الفلسفة العاطفية و بروز الطبقة البرجوازية .

انبثق المذهب الرومانسي وولد في ظل هذه الظروف حيث كان معبرا عن حالة التشاؤم و الكآبة التي سادت في تلك الفترة ، ولذلك وصفت بأنها مذهب أدبي فني عريض و قلق في وقت واحد و لم يتم له الولوج و الظهور في عالم الأدب إلا بعد أن هوجمت حصون المذهب الكلاسيكي على يد الأدباء و الفلاسفة من دعاة التجديد طوال القرن الثامن عشر [1] و لأن المذهب الرومانسي يتنافى مع المذهب الكلاسيكي في أبرز خصائصه فقد شنت الكثير من الحملات من أجل تقويضه و كسر دعائمه، و بذر بذور جديدة لمذهب يؤمن بالعاطفة و الخيال ، و يترنم بالحرية شعارا و لذلك يرى حسام الخطيب أن " الرومانسية اتجاه عريض ربما تمثل في موقفه الاحتجاجي الرافض أكثر مما تمثل بخصائص ايجابية مشتركة" [2] فللخصائص الفنية التي تتمتع بها الرومانسية استحوذت على عقول شعراء هذا المذهب حتى ثاروا ضد الكلاسيكية ردا عليها في فلسفتها الفنية و على أخص خصائصها، و منها إن الكلاسيكية تقوم أساسا على التقليد و الإتباع و خاصة تقليد النماذج اليونانية و الرومانية . فالرومانسية ثارت على هذه الرؤية و دعت لأن يكون الإبداع نابعا من مبدئها الأساسي و ه و الحرية .فبقدر ما كان الكلاسيكيون يحكمون العقل و المنطق في كل شيء و يؤمنون بالرصانة و الاعتدال في رؤاهم و مواقفهم فإن الرومانس على عكس ذلك يؤمنون إيمانا قويا بالانطلاق و التحرر ، حتى ترتاد النفس آفاقا واسعة رحيبة [3]. فالرومانسية مذهب أدبي و اتجاه فني يهتم بالنفس البشرية و ما تزخر به من عواطف و أخيلة أي كانت طبيعة صاحبها الذي ينهج السهولة في بساطة التعبير و سهولة التفكير و الاستجابة لأهوائها ، لذلك فليس هناك أصدق من" و صف المذهب الرومانسي بأنه أدب الثورة , فالثورة هي الموجهة له والمسيطرة عليه ، والرومانتيكيون هم أبناء الثورة شبوا في حجرها ، ورويت أفكارهم بدمائها ، وألهب

---

[1] ينظر: محمد غنيمي ،هلال : الرومانتيكية ص 11.

[2] حسام الخطيب ، نقلاعن: عادل، الفريحات: اضاءات في النقد الأدبي، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب،مطبعة دار الأنوار للطباعة،دمشق،1980،ص153

[3] محمد، ناصر: الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته الفنية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998،ص85.

عزائمهم ما أنتجته من صراع بين قوى الشعب أفرادا وطبقات ، وممثلي الاستبداد من الملوك وأنصارهم ...فضيق الرومانتيكي بالمجتمع ثورة ،وفي سخطه على الشرور ودأبه في البحث عن أسبابها الميتافيزيقية والتشريعية ثورة ، وأخيرا في هدمه للمعوقين لحرية الأفراد من ممثلي السلطات الظالمة ثورة."[1]

والرومانسية لم تأخذ صورة الإعلان عن مذهب أدبي جديد إلا حين صدرت الطبعة الأولى من الديوان الأول المشترك بين "وارد زورث" و "كولرج""حكايات غنائية" أو" مواويل غنائية" عام 1798 م. و قد كان لهذا المذهب الذي اجتاح العالم الغربي كله في زمن متقارب عدة عوامل وراء نشأته منها:

- عوامل أدبية تمثلت في زيادة الاهتمام بالعاطفة و الخيال.
- وفنية تمثلت في اختلاط الكتاب بالفنانين.
- و اجتماعية تمثلت في الصراع الطبقي بين الأرستقراطية والبورجوازية ، التي انتصرت لها الثورة الفرنسية ، والتي كان لها الأثر الفعال في تبلور وعي جديد تمثل في أن انتصار الفرد في النضال من أجل حريته كان يزداد كل يوم تأكيدا ،كما أن بروز تيارات فلسفية تبحث في شؤون النفس والفرد وتعطي قيمة عظيمة للإنسان وتفسح أمامه المجال للتعبير بحرية رسخ هذا الوعي وقد مثله " جان جاك روسو "

و منه فإن المتتبع لتاريخ المذاهب الأدبية يجد أن المذهب الرومانسي كان أهم حركة أدبية في تاريخ الأدب الأوروبي نظرا للمبادئ التي اشتمل عليها ، حيث يسر للإنسان الحصول على حقوقه إذ مهدت للثورات و عاصرتها ثم كان خطوة في سبيل نشأة المذاهب الأدبية الأخرى[2].

[1] محمد غنيمي ، هلال : الرومانتيكية ،ص110.

[2] نفسه، ص11.

2 - المبحث الثاني :مقاربات بين الرومانسيتين الغربية و العربية

تمهيد:

* لقد كان عصر النهضة العلمية، و التكنولوجية ،التي ظهرت في أوروبا، و ما حملته من تغيرات ،و حركات، يلقي بظلاله على حركات التطور في الشعر العربي، نظرا للتغيرات الحضارية التي تعرض لها المجتمع العربي. ما خلق قيما جديدة موازية للحياة الحضارية بفضل الحركات التجديدية .و هذا حدث كشف عن صراع بين قيم قديمة انتشرت في العالم العربي حتى نهاية القرن الثامن عشر، و قيم جديدة حملت لواءها الحركة الرومانسية، فوقع صدام بين الكلاسيكية، و الرومانسية التي بدأت بواكرها في الظهور مع خاتمة العقد الأول من القرن العشرين في العالم العربي ،فالواقع العربي كان متحركا انتشرت فيه روح تحررية قوية و ازدادت روح التشاؤم، و القلق نتيجة للأوضاع المتردية فكانت الرومانسية استجابة لتغيرات مزاجية و اجتماعية و ثقافية في بلدان الوطن العربي و ارتبطت بالوعي المتنامي بهذه الأوضاع التي تدور حول حياة الفرد الشخصية ،و شوقه إلى الحرية و هذا ما يراه و ما عبر عنه بعض الكتاب أمثال أمين العالم* و أنور المعداوي الذي يرى أنّ « الأسباب النفسية و الاجتماعية و السياسية بخاصة تشكل الواقع الوحيد وراء ظهور الحركة الرومانسية في الشعر العربي[1] » .

وكان توثق الصلة بأدب الغرب من خلال الاطلاع المباشر أو من خلال الترجمة و ماكان يفد على الحياة الأدبية العربية من عناصر أجنبية دافعا لتغلغلها في كيان شعراء هذا المذهب و إجمالا فإن نفسية جديدة غزت العالم العربي و مشاعر فياضة اجتاحته و غيرته، فلم تعد تشكيلة القصيدة الكلاسيكية و بنيتها الرتيبة و عقلانيتها و هدو ؤها ،تتبع الروح الجديدة فآثرت عليها تيارا آخر كان أكثر مواءمة لها ،و كان الإعجاب بالأدب الرومانسي الغربي يبدو جليا و خاصة من خلال الترجمة و إقبال المترجمين على الأدب الرومانطيقي بشغف ، تقول الدكتورة لطيفة الزيات :« إن أغلب ما ترجمناه من الروايات

*انظر مثلا : محمد أمين العالم : الشعر الحديث في مصر دار الآداب ، بيروت ، السنة 3 ، العدد1 ،(كانون الثاني) 17 يناير 1955 ، ص ص 15-17.

[1]نقلا عن سلمى الخضراء الجيوسي : الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة : ،ط2 ، بيروت ، لبنان ، تشرين الأول 2008 ، ص375.

كان من نتاج العصر الرومانسي في الأدب الأوروبي » فترجم حافظ إبراهيم" البؤساء" لفيكتور هيجو وترجم قصة "بول وفيرجيني" كما ترجمت الكثير من القصائد ل "لامارتين"و"دي موسييه "و"ديفينييه" و كان التأثر أشد ما يكون بالأدب الانجليزي والفرنسي.

في ظل كل هذه الظروف ،ظهرت النغمات الأولى للرومانطيقية في الأدب العربي ،و بدأ هذا التيار يكتسب شرعيته في لغة الضاد وقد تكونت هذه الشرعية في الأدب العربي في مصر لعدة أسباب بفضل مجموعة من الأدباء و الشعراء و الكتاب ثم انتشرت لتلقي بظلالها على مستوى كبير من العالم العربي ، و من أبرز الذين مهدوا و دعوا إلى الحركة الجديدة" خليل مطران" ، – الثالوث النقدي –العقاد و المازني و شكري– جماعة أبولو ، جماعة المهجر و يمكن أن نجمل مسيرة الحركة الرومانسية في أربعة مراحل هي:

1. مرحلة الإرهاصات الأولى"خليل مطران وأمين الريحاني"
2. الديوان" المازني– العقاد–شكري
3. أبولو

المهجر" الرابطة القلمية" والعصبة الأندلسية

أ – **<u>مرحلة الإرهاصات الأولى:</u>** لأن التيارات الجديدة و المذاهب المستحدثة تظهر على يد علم من الأعلام أو مجموعة منهم فقد كان خليل مطران و أمين الريحاني من الأوائل الذين ظهرت على أيديهم الإرهاصات الأولى للرومانسية العربية ، فكثيرون يعتبرون أن خليل مطران هو رائد المدرسة الرومانسية في الأدب العربي و الممهد الأول لها يقول محمد مندور:"...فمطران شاعر رومانتيكي أصيل يحاول أن يخفي تلك الرومانتيكية لشدة حساسيته و فرط محاسبته لنفسه..... و لكن تلك الرومانتيكية لا تلبث أن تتفجر لمجـرد أن يواري الشاعر نفسه عنها"فدعواته كانت تهدف إلى تحرير الشعر من القيود الموروثة و تحقيق وحدة العمل الأدبي ،و وتطعيمه بمذاهب الشعر الغربي[1] أما أمين الريحاني فقد كان حلقة الوصل بين هذه الإرهاصات و استقرار الرومانسية في الشعر العربي ، وقد أصدر مطران ديوانه الأول عام 1908م و أمين الريحاني عام 1907م حيث أصدر ديوانه

[1] جمال الدين، الرمادي:خليل مطران شاعر الأقطار العربية،ط 2 ، دار المعارف،القاهرة ، ص297.

" هتاف الأودية" و نسجل أن العنوان يحمل صبغة رومانسية بإدخال عناصر الطبيعة.وقد كانت ملامح الرومانسية بارزة في شعر خليل مطران خاصة الإحساس الذاتي و اللجوء إلى الطبيعة الذي طبع عددا من قصائده و منها قصيدته الشهيرة المساء وهذا مقطع منها:[1]

يااللغروب و ما به من عبرة

للمستاهم و عبرة للرائي

أو ليس نزعا للنهار و صرعة

للشمس بين مآتم الأضواء

ولقد ذكرتك و النهار مودع

و القلب بين مهابه و رجاء

ومن أمثلة النزعة الرومانسية عند أمين الريحاني قوله: [2]

إيه أمي الطبيعة جئت أجدد معك آمال

الحياة وسرورها

جئت أردد تحت هذه الأفنان الخضراء

ابتهال أبنائك الأشقياء

فنلاحظ من خلال هذه الأبيات نزعة رومانسية متمثلة في ارتباط الشاعر الروحي بالطبيعة ولجوئه إليها وبثها آلامه وأحزانه.

وقد كان لتصوراتهما الشعرية نغمات رومانسية وجدانية فهذا خليل مطران يقول :« فشرعت أنظمه لترضية نفسي حيث أتخلى أو لتربية قومي عند وقوع الحوادث الجلي ، متابعا عرب الجاهلية في مجاراة الضمير على هواه ومراعاة الوجدان على مشتهاه[3] »فنلاحظ ونسجل من خلال هذا القول أن الشاعر ركز على المحور الذاتي حيث جعل النفس والضمير والوجدان موضوعا أساسيا في قول الشعر.

---

[1] خليل ، مطران : ديوان الخليل ، ج1، ص145.

[2] أمين الريحاني:هتاف الأوديةبذور للزارعين ،الكتابات الشعرية ، بيروت ، دار الجيل ،1989،ص46.

[3] خليل ، مطران : ديوان الخليل ، ج1، ص8.

ويسير معه في ذلك أمين الريحاني باعتباره النفس وما يدور فيها من خلجات مادة خام للشعر فيقول :« وعندي لا ينبغي أن يكون الشاعر شاعر النفس عاقلا أو فيلسوفا ... وفي كل حال إن نزعات النفس هي ماء الشعر وغذاؤه وخمره. [1]» وإذا عدنا إلى المقاربة بين الرومانسية الغربية والرومانسية العربية فإننا نجد أن كثرا من الباحثين أشاروا إلى أن رائدي الرومانسية العربية مطران والريحاني " يشبهان في رفضهما للأدب السائد في عصرهما رواد الرومنطيقية الغربية حيث كان شأنهما شأن ""يونغ" و"ديدرو" و"هاردر" وغيرهم من هؤلاء الرواد وكلهم ثاروا على المفاهيم الكلاسيكية وانبروا لتحطيمها ونادوا بضرورة تجديد الأدب وجعله في شكله ومضمونه يقوم على أسس جديدة...[2]

ومما لا شك فيه أن هناك تشابها كبيرا بين الرومانسية العربية والرومانسية الغربية فقد جاء النص الرومانسي الغربي نتيجة ظروف ومؤثرات مختلفة والنص الرومانسي العربي هو الآخر قد خضع لمجموعة من المؤثرات منها الاجتماعية والسياسية . فكان في كل منهما يأخذ صفة الثورة فإذا كان في الغرب قد برز بسبب استبداد الحكام و الارستقراطية، فإنه ظهر عند العرب بسبب الاستعمار والظلم الاجتماعي فكانت الثورة في كل منهما على القديم والدعوة إلى الجديد وتجلت في أن يكون الأدب ذاتيا حافلا بأحاسيس الفرد ومشاعره وأشواقه وخيالاته.

وإذا قلنا بأن الرومانسيين العرب قد تأثروا بالغرب واستقوا جل مقومات هذا المذهب ، فهذا لا ينفي أن النص الرومانسي العربي خضع للظروف الخاصة والمؤثرات الذاتية التي صبغت النتاج الشعري العربي، ولا ينفي أثر أدب الشرق في بروز الرومانسية في أدب الغرب فترجمة "أنطوان جالان" لقصص ألف ليلة وليلة " وما عجت به هذه القصص من كثافة في الأحلام ، وقوة الخيال وما رددته شهرزاد من مفاتن الشرق وروحانيته ، لا شك

[1] أمين ، الريحاني : الريحانيات ،ج3 ،طبعة بيروت ،1923،ص35.

[2] فؤاد ، القرقوري : أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها ، دط ، الدار العربية للكتاب، جوان 1988، ص 92.

أن هذه الترجمة والاطلاع عليها وعلى أسرار الشرق قد أثر في خيال الغرب وأدبه وفنه [1].

فانبثقت الرومانسية منادية بسطوة الخيال وجماله وقد تحدث سولينيه عن أثر الشرق في الرومانسية الفرنسية فقال : « ...أما الشرق فانه للجميع : شاتوبريا ن ولامارتين وغوته ونرفال وكثير ي غيرهم . هناك الأسفار والأحلام التي يعتبر هيجو سيدها بحق وهو القائل: [2]

كل ما أريد أن أراه، أحلم به كأجمل ما

يكون

أرى في نفسي أبراجا ، وروما ،

وقرطبة

وجولات ؟ وأسفار، ورغبة مجنونة

وهذا يكفي للقيام بالرحلة الخالدة...

كما أن هناك اختلافا واضحا بين الرومانسية العربية والرومانسية الغربية كون "الرومنطيقية الأوروبية قد تجسمت تيارا واضح الملامح والأبعاد واحتلت بمفردها الحياة الفكرية والأدبية في أوروبا، على امتداد النصف الأول من القرن الماضي قبل أن تتقلص وتذوب أمام ظهور الواقعية ، وهذه الخاصية لا نجدها ونحن نؤرخ للرومانطيقية العربية ، فالحياة الأدبية في العالم العربي في الثلث الأول من هذا القرن ، شهدت بالإضافة إلى الظاهرة الرومنطيقية ازدهار اتجاهات أدبية أخرى جديدة عاصرت الرومنطيقية وقاسمتها أذواق الناس وميولا تهم فمنها ما هو واقعي ومنها ما هو رمزي .[3]

فالحركة الرومانسية في الأدب العربي هي حركة لم تزد على أنها حدثت متوجهة إلى تحطيم المدرسة الكلاسيكية دون أن تساندها أو تحكمها فلسفة معينة أو أساس فكري ينظر

---

[1] عادل فريحات :إضاءات في النقد الأدبي،ص 155.

[2] الرومنطيقية في الأدب الفرنسي ،نقلا عن : عادل الفريحات : إضاءات في النقد الأدبي، ص152.

[3] فؤاد ، القرقوري :أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث ، ص 44.

لها شبيها بما كان في أوروبا ، متمثلة في آراء بعض الشعراء و الأدباء و الجماعات سنبرزها من خلال الجدول التالي:

الرومانسية	عند الغرب	عند العرب
تياراتها و أهم روادها	في انجلترا عبرت الحركة الرومانسية عن نفسها بتلقائية وعمق وتحد للواقع من خلال أعمال المبدعين فكان أهم روادها أدباء البحيرات من أمثال :" كولوريج" (ت1834) "وبايرون" (ت 1824) و"شيلي" و"وورد زورت "و"برونتي" و"ديكنز" وغيرهم وفي فرنسا لم يكن حظها أقل من حظ انجلترا فقد ظهر فيها الكثير من المبدعين والشعراء الرومانسيين وكان في طليعتهم " جون جاك روسو" الذي عبر عن نزعته الرومانسية وتعلقه بالطبيعة وميله إلى الانعزال في كتابه "أحلام متجول وحيد "وكذلك مادام دي ستايل التي كانت اللسان المعبر عن الحساس الرومانسي وكذلك فيكتور هوجو الذي التزم المنحى الرومانسي في مسرحية" كروموبل" وروايته هرناني" وفي ألمانيا فقد كانت البيئة الملائمة والمثالية للنزعة الرومانسية بين النفوس الحائرة والقلقة والباحثةعنداتها فحقق ادباؤها السبق في الرومانسية عندما أصدر غوته (1749-1832) روايته "أحزان فرتر" " ورائعته فاوست" ومن أهم روادها نجد لسينغ " "شيلر ""هردر" "هاينيه " "شليغل" "نافاليس " "تيك" وغيرهم.	أ- جماعة الديوان *هي عبارة عن منظر نقدي وإبداعي كما أنها تتميز بالوجدانية، فهي تجمع بين الوجدان والفكر(العقل) * تأثرت بالرومانسية الغربية عامة والإنجليزية منها بوجه خاص. * فأكدوا على أن الشعر عاطفة وإحساسات ومشاعر فردية ذاتية لا أفكار موضوعية أو عقلية أو حكمية، واعتمدوا الخيال معيارا وميزانا لتفضيل بعض الشعر على بعضه الأخر. * وتوخوا البساطة في المعجم الشعري ونبذوا الشعر على بعضه الآخر ، وتوجوا الزخرف وأداروا ظهرهم للقديم. * برزت في أشعارهم ملامح التأثر بالشعر الغربي،وتناولوا الموضوعات البسيطة ونظروا إلى الطبيعة نظرة جديدة تتجاوز الوصف إلى التفاعل الحميم بالعالم الخارجي. * أضفوا على الطبيعة صفات الإنسان، وتمازجوا بها فجعلوا منها تعبيرا عن الذات أكثر مما هي موضوع يوصف. * وعنوا بموسيقى الشعر ومالوا إلى الإيقاعات الهامة و الأوزان القصيرة المجزوءة وتنويع القوافي ، بل ذهب بعضهم إلى التخلي عنها في قصائد محددة. * المدرسة قامت على احتضان مجموعة من الأصناف الأدبية من الإبداع،

وترقية الحوار الإبداعي عن طريق الانفتاح على الذات والتعبير عن المشاعر والأحاسيس،

* إن المرحلة الشعرية تتكون من مرحلتين : المرحلة الأولى تثور فيها عواطف الشاعر والثانية يسجل الشاعر فيها هذه العواطف بعد أن يضبطها ومن هنا يأتي الصدق في الشعر فإذا لا تتحقق هاتان المرحلتان فهو نظم مهما فرضته المناسبات.

"التوسع في المعجم الشعري فكل الألفاظ ملائمة في مكانها المناسب وأن للطبيعة وجهين : الطبيعة المحيطة بالإنسان، وهي التي تحرك روحه الأدبية والطبيعة الفردية التي تجعل فن الشاعر هو موضوع حياته، هو موضوع شعره ولا يجوز أن يفصل بين حقيقته وشخصيته الفردية .

للشعر وظيفتان هما تحقيق المتعة للآخرين عن طريق إشراكهم وجدانيا فيما يحسه الشاعر، والكشف عن الجمال القائم في الأشياء، فهذا الجمال هو حقيقة الأشياء" يعني أن للشعر مراحل تشتمل على العواطف، وكذا يجب التوسع في المعجم الشعري، وذلك باستخدام الألفاظ المناسبة مع إبراز أوجه الطبيعة وجعل فن الشاعر هو موضوع حياته أو العكس.

ب- جماعة أبولو

يذكر أن جماعة أبولو أصدرت سنة 1932 مجلة باسمها، وفي تلك المجلة نشرت مقالات تعبر عن

فهم عدد من الشعراء لواجب الشاعر ودوره في الوجود لأهداف الجماعة التي سمیت في بعض المقالات المدرسة، فإذا كان العقاد في جماعة الدیوان ملكا فإنه غاب عن هذه الجماعة، فإن هذه الجماعة قد أضافت ملامح تجدیدیة كثیرة.

1. ومن بین المبادئ التي دعت إلیها الجماعة (أبولو):

- الوحدة العضویة للقصیدة (بدلا عن وحدة البیت) وإلى الحریة المطلقة في اختیار الموضوع والتنویع في الأوزان والقوافي كان مطران أول من مارس النظم على أوزان جدیدة ابتكرها.
- كانوا أیضا من عشاق الطبیعة والمیل إلى الحزن والتشاؤم، والشاعر إبراهیم ناجي غالبا ما یدور حول موضوع الحب و المرأة وعلاقة العاشق بالمعشوق، والشعر بالألم والإحساس بالغربة والاغتراب في غیبة الحبیب وهي موضوعات وان كانت غیر جدیدة إلا أن تناول الشاعر لها هو جدید.
- المنحى الفني العام بحركة أبولو وهذه هي ملامحه العامة.

(1) الوجدانیة:

ومن المظاهر التي رافقتها القلق، وبساطة التناول والنزعة الإنسانیة، والاهتمام بالأشیاء والبسیطة الألیفة.

(2) الانحیاز للطبیعة لا من حیث هي مناظر ومشاهد، بل من حیث أنها تختزن الأسرار أو

المجهول ومن هنا انحيازهم للخيال والتأمل ، ومع شيء من الصوفية ومن الرمزية والفكرية أو الفلسفية.

(3)ازدواج القافية في قصيدة من بحر واحد والتنويع في القافية والبحور (الشعر الحر) في القصيدة الواحدة، والتحرر أحيانا من القافية (الشعر المرسل) وتسمية الشعر الذي لا قافية ولا وزن له ، شعرا (الشعر المنثور) .

(4)التوكيد على وحدة القصيدة وعلى وحدة الشاعر نفسه ومذهبه الفني والموضوعي.

(5)الاتجاه نحو الشعر القصصي والمسرحي ، وما سموه بشعر الخواطر والتأثر بالعلم.

(6)الحرية الكاملة للشاعر في أن يجدد ما شاء" كما يعبر الشابي عن التراث المعنوي العظيم الذي يشمل ما ادخرته الإنسانية من فن وفلسفة و رأي ودين لا فرق في ذلك بين ما .كان عربيا أو أجنبيا ولعل جماعة أبولو قد تفردت عن غيرها من الجماعات الأخرى في الشعر الجديد،ذهبت حركة أبولو في التنظير للشعر الجديد إلى أبعد وأعمق مما فعلت جماعة أبولو التي ضمت إلى جانب مطران شعراء تنوعت مواهبهم وثقافتهم ،" فخلقت وسطا شعريا – ثقافيا أكثر غنى واستقصاء ، ومن هنا أسهمت إسهاما كبيرا في تجاوز شعر النهضة بخاصة والتقليدية الشعرية، بعامة وفي التمهيد لنشوء بنية جديدة للقصيدة ومفهوم جديد للشعر

جماعة الرابطة القلمية(المهجر):

لقد ساعدت بعض الظروف الاجتماعية والسياسية في بلورة اتجاه جديد في الأدب العربي الحديث، وهي ما عرفت بالجماعة المهجرية أو الرابطة القلمية" وهي جماعة أدبية بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ضمّت جماعة من أبناء الشام تنزح إلى الأمريكيتين ومن بين تلك الجماعات المهاجرة طائفة من الشباب ذات الفكر والخيال والخصب والمثقفين والواعين الذين رفضوا العيش أسرى للظلم والعوز والفقر ، من أبرز أعضائها جبران خليل جبران ،إيليا أبو ماضي ، وميخائيل نعيمة صاحب كتاب الغربال وأهم مميزات أدباء الرابطة القلمية الدعوة إلى الحرية والأخوة الإنسانية، والحنين إلى الوطن كرد فعل على الشعور بالاغتراب والميل إلى الرمز و الامتزاج بالطبيعة ،وثارت هذه المدرسة على الشعر التقليدي من غزل ورثاء وهجاء، فأصبح الموضوع عندهم يمثل استجابة داخلية وانطلاقا من دائرة التقليد فتحدث شعرهم عن خلجات النفس أو عن الصراع الداخلي فيها " أي أن هذه المدرسة رفضت شعر الإحيائيين وركزت شعرها على الذات الداخلية من أحاسيس ومشاعر، وجعلت الشعر تعبيرا عن الذات الداخلية.

خصائصها و مبادئها	لقد قامت الرومانسية في كثير من خصائصها العامة ثورة على الكلاسيكية حينما كان الكلاسيكيون يمجدون العقل و سلطانه كان الرومانسيون بعكس ذلك حيث يجحدونه و يتوجون مكانه العاطفة و الشعور و تسليم القيادة إلى القلب حيث اعتبروه منبع الإلهام و الهادي الذي لا يخطئ لأنه موطن الشعور و مكان الضمير " يقول الفرد دي موسيه " «أول مسألة لي هي أن لا ألقي بالا إلى العقل » و لهذا تميزت الرومانسية بمجموعة من الخصائص هي: 1. **الخيال:** لقد وجه الرومانسيون أدبهم و خاصة الشعر إلى الخلق و الإبداع و كان طريقهم في هذا الخيال المجنح وكان الخيال من أبرز الخصائص التي ميزت شعرهم فقد كان ملجأ و مهربا من الواقع المؤلم الذي يعيشه الإنسان .فهم في أدبهم لا ينشدون الحقيقة التي تواضع عليها الناس و أقرها المنطق السائد و مهما تكن من صلة (بين المجتمع و مما يقدسه ذلك المجتمع) وبين أدبهم و الحياة الواقعية فهي صلة الحلم المتحرر من حقائق المجتمع و مما يقدسه ذلك المجتمع من تقاليد " فالصور و الأخيلة الأصلية التي تستخدمها الأحلام ولغة التنبؤ الشعري توجد في الطبيعة التي تحيط بنا " [1] و الشاعر الرومانسي محب للاستطلاع و عاشق للجمال و هذا ما يؤدي به إلى أن يسرح في الخيال بحثا عن السعادة و الحب فهم بالخيال يسترجعون الماضي كالرجوع إلى القرون الوسطى وبعثها فكرا جديدا ففي جوها المشحون بينابيع غير مستغلة ذات تأثير رومانسي حافل بالجمال الغربي يستطيع الخيال القوي الحصول عليه من أشياء خير مألوفة[2] و بالخيال يصورون المستقبل كما يحبون أن يكون فالرومانسي في الخيال يشعر باغتراب مكاني و زماني فيفر من بيئته إلى بيئة أخرى يحيا فيها بخياله و زمن آخر يتمناه في خياله فهو عندهم إشباع لأمالهم غير المحدودة وصار أحب إليهم من عالم الحقيقة المحدود[3] ، ومن أبرز الرومانسيين الذين ارتبط بهم الخيال نجد "وليام ورد زورت" (1770-1850) و(كولريج 1772-1831) حيث فرق كولرج بين الخيال و الوهم فالخيال عنده أولي

[1] محمد غنيمي هلال :الرومانتيكية،ص 18

[2] الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ،ط1،دار المعارف،ص52

[3] محمد غنيمي هلال:الرومانتيكية ،ص 64

خصائصها و مبادئها	و ثانوي. - أولي : هو القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك الإنساني ممكنا و هو تكرار في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالد. - ثانوي: هو امتداد للخيال الأولي غير أنه يوجد مع الإرادة. فالخيال يعمل على تحقيق علاقة جوهرية بين الإنسان و الطبيعة أما الوهم فيجمع بين جزيئات باردة جامدة منفصلة الواحدة عن الأخرى. **الذاتية و الفردية:** يرى الرومانسيون أن الفرد هو محور الحياة لذلك رفعوه إلى مرحلة سامية في التاريخ و رأوا أن الشعر المعبر الأفضل عن خبايا النفس و أسرار الذات فتميز شعرهم بالذاتية و الفردية و خاصة أ ن أدبهم كان يعتمد على العاطفة و العاطفة في طبيعتها فردية ذاتية، و قد أطلق الرومانسيون العنان لإحساسهم الفردي حتى جاء أدبهم صورة لذواتهم [1] وكانوا يرون أنهم عباقرة ما ولد لديهم شعور بالعزلة فتجافوا عن السواد من الناس وانطووا على أنفسهم و استغرقوا في التفكير في ذواتهم فقط فكان شعرهم تعبيرا عن أحلامهم و آمالهم ومشاعرهم التي تبلورت فيها أحزانهم فكان يغلب عليهم القلق و السخط على الواقع و الحزن الدائم . ولهذا نرى الألماني نوفاليس يقول" إن الشعر تمثيل الشعور ، ولعالم النفس في مجموعه و كلما كان الشعر فرديا ذا طابع محلي و صبغة حاضرة و ذاتية كان أقرب إلى صميم الشعر" [2] و من واجبات الكاتب الرومانسي أن يكون نفسه بكل ما تحمله الكلمة من معاني و هذا ما عبر عنه فيكتور هيجو بقوله" على الشاعر أن ينهل عبقريته من روحه وقلبه"[3] 2 - **العاطفة و الشعور** : كانت العاطفة و الشعور من أبرز الخصائص التي ميزت الأدب الرومانسي بل اللبنة الأساسية التي قام عليها فقد كانت أساس الثورة على المذهب الكلاسيكي الذي يمجد العقل ،فقد وصل بهم الأمر إلى تقديسها حد الإسراف و وضعت القيم العاطفية فوق متطلبات العقل ووقفت في وجه سيادته ، وثارت على سلطانه

[1] المرجع السابق ،ص 45.

[2] المرجع نفسه ، ص 46.

[3] المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا:ص 201 و ينظر:محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ،ص 85 .

خصائصها و مبادئها	و توجت العاطفة مكانه لأنها وحدها القادرة على تجاوز الحواجز المنيعة التي تسد طريقها فالعقل مهما بلغ من قوة فهو يعجز عن ارتياد ما يرتاده القلب و تخلق فيه المشاعر و العواطف الإنسانية ففي القلوب الموهبة و الرحمة والعذاب و الحب ومن القلب تتدفق الحياة حتى تمسها عصا موسى كما عبر عن ذلك دي موسيه[1] 3 - الطبيعة : الشاعر الرومانسي يرى في الطبيعة كائنا حيا يتمازج معها و هي الإطار الفاعل في الحياة و تجري الحركة في الحياة و في الطبيعة بشكل متداخل فكان الإنسان بالنسبة إليهم ظاهرة من الظواهر الطبيعية يتمازج معها و يجد فيها حريته،فقد كانوا ينشدون السلوان فيها و يبثونها أحزانهم و يناظرون بين مشاعرهم و مناظرها و استأنسوا أكثر شيء بمناظرها الحزينة لان لها صلات بخواطرهم و مصائرهم [2] فخاطبوا الأشجار و الأزهار و النجوم و الورود و الصخور و أمواج البحار و كانت لهم ملاذا لأحلامهم و استسلامهم لمشاعرهم ومبعثا قدسيا وكانت لهم شعرا الاهيا تدل على صنع الله و رأي ذلك كل ما من هيجو و بيرون وشيلي [3] 4 - **الحب:**لقد كان موضوع الحب موضوعا متداولا في الشعر و الأدب و في الحياة مند عصور طويلة و لكنه عند الرومانسيين بلغ أوجه بحيث استمدت العاطفة كمبدأ لها و قد كان الرومانسيون يصلون بهذه العاطفة إلى حد التقديس و يرونها فضيلة من الفضائل فكل حب صادق بطبيعته فيما يرون طاهر عفيف ، كما أن الحب عندهم يتجاوز حب رجل و امرأة إلى حب الإنسان للإنسان و يرى هيج وان الإنسان يطير بجنا حان أحدهما الفكر و الآخر الحب فقد تمثل عندهم بعواطف إنسانية تمجد العدالة وسمو بالنفس إلى

[1] محمد غنيمي هلال:الرومانتيكية ،ص 60.

[2] المرجع السابق، ص 162.

[3] أحمد مكي : الأدب المقارن أصوله و تطوره ومناهجه، ص 52.

خصائصها و مبادئها	الفضيلة و تنبذ الظلم و العداوة و البغض فكان الحب أوسع المجالات في الشعر فامتزج عندهم بمعان فلسفية و صوفية و اجتماعية تصدر عن فكر حر.	
النموذج الشعري	يقول شيلي في قصيدة عنوانها"أغنية إلى الريح الغربية" [4] يا رياح البحر العاصفة يا نقسا ينبعث من كيان الخريف،أنت يا من تحملين البذور المجنحة في عربتك، لو كنت ورقة ميتة قد تحمليها أو سحابة مسرعة تطير معك أو موجة تلهث تحت جبروتك اتخ طيني قيتارة لك، كما هو شأن الغابة كوني أيتها الروح الهائجة روحي كوني أنت أنا ، أيتها الروح الثائرة ادفعي أفكاري الميتة إلى أرجاء الكون و نحن هنا بصدد تقديم نموذج عن الصراع النفسي و توظيف الطبيعة و ما قيل فيها عند الغربيين و نخص بالذكر هنا "**لامارتين**" والتي قارناها بما قال الشابي أو حمود رمضان في الطبيعة و فكرة التأثير و التأثر الحاصلة بين الغرب و العرب.	يقول ميخائيل نعيمة مخاطبا نفسه : أنت ريح ونسيم أنت موج أنت بحر أنت برق أنت رعد أنت ليل أنت فجر أنت فيض من اله [2] أبولو يقول أبو شادي: وسكنت للنفس الحزينة جاثيا قلق أفتش عالمي المترامي فأعب كأس الحزن وحدي صامتا والصمت بعض عبادة المتسامي ويقول إبراهيم ناجي[3] أبغي الهدوء ولا هدوء وفي صدري عباب غير مأمون يقول عبد الرحمان شكري:[4] فأسلمت نفسي لسحر الخيال لأخلد في في حسنها الزاهر

[1] صالح لمباركية :الاداب الاجنبية القديمة و الاوروبية،د ط، دار قانة للنشر و التوزيع، باتنة ، الجزائر، 2007، ص .119.

[2] ميخائيل نعيمة: همس الجفون .ص ..

[3] ابراهيم ناجي : وراء الغمام، ص 23.

[4] عبد الرحمن شكري: ديوانه،جمع وتحقيق نقولا يوسف،د ط،المجلس الأعلى للثقافة ،2000، ص 621.

النموذج الشعري	**Le lac** Ainsi, toujours poussés vers de nouveaux rivages, Dans la nuit éternelle emportés sans retour, Ne pourrons-nous jamais sur l'océan des âges Jeter l'ancre un seul jour? Ôlac ! l'année à peine a fini sa carrière, Et près des flots chéris qu'elle devait revoir, Regarde ! je viens seul m'asseoir sur cette pierre Où tu la vis s'asseoir! كما ترجمها نقولا فياض في الجزء الأول من ديوانه فيقول: **البحيرة** أهكــذا أبـــداً تمــضـــي أمانيـــنـــا نطوي الحياةَ وليلُ المــوت يطوينـــا تجري بنا سُفُــنُ الأعمــارِ ماخــرةً بحرَ الوجــودِ ولا نُلقـــي مراسينـــا؟ بحيرةَ الحــبِّ حيّــاكِ الحيــا فَلَكَــمْ كانـــت مياهُــكِ بالنجــوى تُحيّينـــا قد كنتُ أرجو ختامَ العــامِ يجمعنـــا واليــومَ للدهــر لا يُرجـــى تلاقينـــا فجئتُ أجلس وحدي حيثمـــا أخـــذتْ عنـــي الحبيبـــةُ آيَ الحــبّ تَلْقينـــا[1]	كأني نقلت إلى عالم ينشأ في الدهر أو غابر كأني نقلت إلى جنة نأت عن سطا القدر الدائر ومما يزيد رواء الزهور أذى العيش والقدر الحائر

[1] نقلا عن منتدى المستقبل – الخميس 16 تشرين الثاني 2006 – العدد 2447 – ثقافة و فنون – صفحة 20.

الفصل الثاني

الرومانسية في المغرب العربي

II. الفصل الثاني: الرومانسية في أدب المغرب العربي

- مدخل

1 المبحث الأول: الرومانسية في الشعر التونسي الحديث.

أ – الرومانسية في شعر أبي القاسم الشابي.

ب – لمحة في حياة الشاعر

ت – بيئته الخاصة و العامة.

ث – ثقافته و بيئته الثقافية.

ج – آثـــــــــــــاره.

2 المبحث الثاني: الرومانسية في الشعر الجزائري الحديث.

أ – الرومانسية في شعر رمضان حمّود.

ب – لمحة في حياة الشاعر

ت – بيئته الخاصة و العامة.

ث – ثقافته و بيئته الثقافية.

ج – آثـــــــــــــاره.

الفصل الثاني : الرومانسية في أدب المغرب العربي

تمهيد:

- كما كان للرومانسية الأثر الكبير في أدب المشرق العربي ، وهذا ما رأيناه من خلال مدرسة الديوان ، المهجر ، وأبولو ، فقد كان هدا الأثر واضحا في أدب المغرب العربي حيث؛ مثل هذا الاتجاه مجموعة من الشباب الثائر ، المتحمس الطامح للتجديد . وكان تأثره بأدب الغرب وأدب المشرق دافعا وراء هذه الثورة ، خاصة أن الأوضاع السياسية ، والاجتماعية التي كانت تعيشها هذه الأوطان لم تكن تختلف كثيرا عن مثيلاتها من البلدان العربية ، بل يمكن القول إنها كانت أسوأ .

فقد تعرّض الإنسان العربي طوال عصور الانحطاط المتعاقبة لألوان شتى من السحق ، والتدمير فأصبح مسلوب الإرادة ، مسحوق الذات يتحدث عن الآخر ويعمل للآ خر ، انطلاقا من تفسخ الذات وخرق القمع ، لا من قبل التضحية وجما ل الإيثار وانطلاقا من تجسيد الفراغ الموحش لا من تجسيد الشعور بالجماعة إنه الهروب الحقيقي وليس الحضور في الحياة [1]

وبلدان المغرب العربي كانت ترزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي ، ما جعل منها ذاتا غير ذاتها ، فأصبحت مسلوبة العقيدة، سقيمة الوجدان ، مغيبة عن الحياة ، فكان الشعر الرومانتيكي دعوة صارخة للتمرد ، وتعبيرا صادقا عن القلق والرغبة في التغيير ، مثله شباب شاعر رافض للتفسخ ، يدعو إلى حياة أفضل وإلى مثل عليا تشتاق إليها أرواحهم المرهفة . ولم يكن التيار الرومانسي سوى تعبيرا صادقا عن هذه الثورة و الرفض لهذا الواقع المزري.

ففي الجزائر كان رمضان حمود يدعو لفهم جديد للشعر ، وللاحتكاك بأدب الغرب الرومانسي ، ونشر قصيدة للاموني عنوانها " المنفي " كما نشرت مجلة "هنا الجزائر " التابعة للإذاعة الفرنسية عدة أعمال رومانسية لفيكتور هيجو ، ونشر إسماعيل العربي قصيدة" لشيلي" بعنوان" أنشودة إلى الريح الغربية " وفي تونس كان أبو القاسم الشابي أبرز

[1] عبد العزيز، المقالح : عمالقة عند مطلع القرن ، ط2 ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، 1977 ، ص 200.

من مثل الاتجاه الرومانسي وأجاد فيه ، وقد بدا توجهه هذا واضحا من خلال محاضرته الموسومة ب " "الخيال الشعري عند العرب " .

ولم يكن التعبير الرومانسي الطافح بالأسى ، المفعم بشعور القلق والتمرد ، عند أمثال هذين الشاعرين سوى انعكاس طبيعي لحالة المجتمع ، وإعلان شعري رافض لنزعة الجمود باحث عن ذات المجتمع الجديد . يقول الدكتور عبد العزيز المقالح : « ولهذا فإن رفع الشاعر صوت الذات المقموعة والحديث عن النفس والهموم ، وعن موقف هذه الذات والنفس إزاء الآخرين وإزاء الكون ، لا يشكل حالة مرضية ولا يبتعد بالشاعر ولا يفصله عن واقع الحياة ومشكلات المجتمع [1]»

ولهذا ارتأينا أن نقدم في هذا المبحث لمحة عن الشعر الرومانسي في تونس مع أبي القاسم الشابي وعن الرومانسية في الشعر الجزائري مع حمود رمضان .

أ-الرومانسية في الشعر التونسي الحديث:

لقد ظل الشعر التونسي محنطا بالضعف ، والتكلف ، كما أن أغراضه لم تتغير ولم يطرأ عليها أي تجديد أو ميل نحو الإبداع ، بل بقيت على ما هي عليه ، شبيهة بما كان عليه الشعر العربي قبل بداية النهضة ، وقد ظل كذلك إلى أن ظهرت حركة الشباب التونسي .تقول الدكتورة سلمى خضراء الجيوسي: « فنظرة واحدة على أمثلة الشعر التونسي في العقود الأربعة الأولى من هذا القرن تبين أن الإهمال الذي كان يغلف الشعراء التونسيين في الوطن العربي ، باستثناء الشابي ، يعود بالدرجة الأولى إلى الضعف العام في شعرهم ، فالقصائد التي اختارها محمد الفاضل بن عاشور وزين العابدين السنوسي [1*] لا تنم عن إبداع يلفت النظر ... تقع العيوب الرئيسية في هذا الشعر كما تبدو من هذه المختارات * في البناء العام وفي تركيب الجملة ، إضافة إلى نقاط ضعف لغوية وعروضية» [2]

---

[1] المصدر السابق ، ص ن.

*للإطلاع على المختارات راجع : السنوسي ، ابن عاشور : محمد صالح الجابري : الشعر التونسي المعاصر خلال قرن

3 سلمى الخضراء الجيوسي : الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، ط2 ، بيروت ، تشرين 2008 ، ص 427.

وقد بدأت ملامح الشعر الجديد تلوح في الأفق التونسي في السنوات العشر الأولى من مطلع القرن العشرين وأخذت شقة المواجهة تتسع وتحتد بين المحافظين والمجددين ، بين المتمسكين بالمنابع الشعرية القديمة وبين الشعراء الطلائعيين.[1]

وقد تجلى هذا الصراع من خلال المقالات النقدية ، التي كانت تنشر في عدد من المجلات خاصة بعد ظهور الشاعر التونسي " محمد الشاذلي خزندار" [2*] الذي ألقى محاضرة بقاعة الخلدونية عام 1918 قدم فيها مفهوما جديدا للشعر ، وأنه شيء يجيش بالصدور ، حيث مهد لمفهوم وجداني غير الذي كان سائدا آنئذ .

ثم ظهرت "مجلة العالم الأدبي" ؛وهي مجلة صدرت عام 1922وانضم إليها زين العابدين السنوسي * الذي كان له الفضل الكبير في مراجعة إنتاج الشعراء الشباب وتشجيعهم ومنهم أبوا لقاسم الشابي ومصطفى خريف *[3] ومحمد البشر وش *[4]، محمد الحليوي *[5]وغيرهم .

ثم ظهور قضية الإمارة الشعرية في تونس . كلها عوامل أدت إلى انبثاق التيار الرومانسي وتبلوره في عالم الأدب التونسي فالإمارة الشعرية بسبب غياب النزاهة والموضوعية أدت إلى انفصال مجموعة من الشباب عن الشعراء الذين فازوا بالمسابقة وهكذا تشكل اتجاه فني جديد من الشعراء مثل" أبو القاسم الشابي " "مصطفى خريف " "محمد الحليوي " "محمد البشر وش " ، ومع انضمامهم إلى جريدة الزمان صحبة الشاعر "بيرم التونسي[6*]" الذي حل بتونس عام 1932 ، بدأ ت ملامح الشعر الجديد تتبلور متمثلة في طغيان النزعة الرومانسية وفهم جديد في تصوير الشعور بالأشياء وقد ظهرت الرومانسية عند أغلب الشعراء التونسيين في شكل ميل نحو الحزن والكآبة ولا بد من أن السبب لا يعود إلى قسوة الأوضاع السياسية والاجتماعية وحسب ، بل إلى الفرق الذي اكتشفه المثقفون

بين حياة التقدم في الغرب والحياة في تونس ، وبين المثل العليا التي كانوا يتطلعون إليها والواقع ،... إن هذا الجو الذي يخيم على كثير من أمثلة الشعر التونسي في العقد الثاني

[1] مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم الشابي : رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، إعداد : عزيز العكايشي ، إشراف : د سعد الدين الجيزاوي ، جامعة قسنطينة، معهد الآداب والثقافة العربية 1980، ص26.

والثالث أدى في العقد الثالث إلى إطلاق تيار رومانسي نجد أحسن أمثلته عند الشابي ، وقد تأثرت الرومانسية في تونس بأمثلة الشعر الرومانسي المترجم عن الفرنسية إلى جانب مؤثرات أخرى جاءت من الشعر المصري ومن شعراء المهجر.[1]

وكان الشعراء الذين اتجهوا هذا الاتجاه ذوي اطلاع واسع على الثقافات الأجنبية ومتابعين جيدين للحراك الأدبي التجديدي في الساحة العربية في المشرق.

وقد بدت ملامح الرومانسية جلية في شعرهم من خلال المواضيع التي عالجوها فكانت الطبيعة ،الفرد والمجتمع ،المرأة والحب ،الثورة والحرية من أبرز المواضيع التي طغت على الشعر في تلك الفترة فهذا أبو القاسم الشابي يصدح بصوته معبرا عن آلام أمته ومجتمعه وأفراده فيقول :[2]

أين ، يا شعب ، قلبك الخافق الحساس ؟ أين الطموح، والأحلام؟

أين، يا شعب ، روحك الشاعر الفنان ؟أين الخيال ، والإلهام؟

أين ، يا شعب فنك الساحر الخلاق ؟ أين الرسوم والأنغام؟

إن يم الحياة يدوي حواليك ، فأين المغامر المقدام؟

وهذا الشاعر مصطفى خريف يقول:

عد كالربيع إذا تبسم نوره

وكسا الربوع بحسنه ألوانا

عد كالرياض ترنمت أطيارها

وتبادلت في أيكها الألحان

---

[1] سلمى الخضراء الجيوسي : الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 427.

[2] الأعمال الكاملة لأبي القاسم الشابي ، المجلد الأول ،الشعر ، أغاني الحياة ، مداخلة وتحقيق د إميل أ . كبا ،دار الجيل ، بيروت ،1997 ، ص507.

وكان موضوع المرأة والحب لا يغيب عن الشعراء التونسيين فهذا محمد البشر وش وهو من أكثر الشعراء رومانسية إلى جانب أبي القاسم الشابي يقول في قصيدته رجاء المفعمة بالروح الرومانسية حيث جمع بين الطبيعة والحب يقول : [1]

أ سعاد أرجوك الذهاب معي إلى الغاب
القريب

حيث الحياة جميلة في ظلها الحسن
الحبيب

يستقبل الفجر الضحوك إدا تنفس
كالكوثر

نشدو كما تشدو البلابل للطيور والشجر

وهكذا يمكن أن نخلص إلى مجموعة من العوامل ساهمت في ازدهار التيار الرومانسي في تونس،منها:

- الاستعمار الفرنسي وما خلفه من شعور بالتفسخ وفقدان الذات خاصة لدى الشعراء
- ظهور الصحافة الأدبية في تونس ونشاطها وظهور المجلات والتنافس الشديد بين مجلة العالم الأدبي وجريدة الزمان.
- حركة الترجمة حيث ترجمت العديد من الأعمال الرومانسية خاصة الفرنسية
- حركات التجديد في المشرق العربي التي كان لها الأثر الكبير في تبلور الوعي الرومانسي لدى الأدباء والشعراء التونسيين خاصة أن الشابي كان يراسل جماعة أبولو.

---

[1] محمد الصالح الجابري : الشعر التونسي المعاصر 1870–1970، دط ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، 1974،ص275 .

*أبو القاسم محمد كرو يؤكد أن الاستعمار فصم الروابط بين المشرق العربي وتونس ورغم هذا فان شعر المشرق كان متاحا للتونسيين منذ القرن التاسع عشر ، عندما حاول أبو القاسم الشابي أن يوجد علاقات مع الشرق العربي لقي ترحيبا كبيرا في مصر أنظر : أبو القاسم محمد كرو : محرر دراسات عن الشابي ، تونس ، دار المغرب العربي ، 1966 ص95.

الرومانسية في شعر أبي القاسم الشابي :

1-لمحة في حياته

2 _بيئته

3_ثقافته

4_ دعوته التجديدية

1لمحة في حياة الشاعر أبي القاسم الشابي:

إن حياة الشابي حياة مليئة بالشقاء والألم ، عامرة بالأحزان والأتراح ، طافحة بالحرمان والتعاسة مغمورة بالكآبة والأسى .ولسنا نعرف شاعرا في مثل بيئة الشابي وأجوائه تجمعت عليه مثل هذه من ضروب العذاب وألوان الشقاء ، ففجرت فؤاده بالأغاني ، وألهبت قلبه بالحب ، وقادته إلى حياة صوفية سامية ، تميزت بتبرمه العنيف ' وثورته الجارفة...[1]هذا ما قاله أبو القاسم محمد كرو وهو يمهد لحياة الشاعر أبي القاسم الشابي الذي ملأ الدنيا بشعر تغلغل في الأرواح و تمكن من القلوب ولهذا ارتأينا أن نشير إلى بعض المحطات الهامة في حياة الرجل .

- هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي ، ولد بالشابية إحدى ضواحي توزر سنة 1909 لم ينشأ في مسقط رأسه ، بحكم وظيفة أبيه القاضي الذي كان يطوف البلاد التونسية طولا وعرضا، ولهذا لم يعرف الشاعر استقرارا في حياته ، في سنة 1920التحق بجامع الزيتونة وهنا تغيرت حياته وصقلت مواهبه . يقول أبو القاسم محمد كرو "والتحاق الشابي بالزيتونة وفي العاصمة ، كان نقطة تحول هامة في حياته وليس ذلك لأن تعليم الزيتونة يومئذ ، كان تعليما عصريا بأتم معنى الكلمة ، وإنما هذا الجو الجديد من الحياة الذي انتقل إليه الشابي ، فوجد فيه كثيرا من الحرية ، وكثيرا من ا لانطلاق ، وكثيرا من النشاط الأدبي "[2] فاستغل هذه الظروف ليرضي ميولا ته الأدبية ، حيث انكب على المطالعة

[1]أبو القاسم محمد ، كرو : أبو القاسم الشابي حياته-شعره ، دط، الشركة التونسية للتوزيع 1973،ص35.

[2]نفسه، ص ص38-39.

وتمرس بالأدب وأتقن القرآن الكريم واللغة العربية "فحصل بها وبنشاطه ثقافة واسعة ، جمع فيها ما بين التراث العربي القديم ومعطيات الفكر الحديث ، وغذى مواهبه بأدب النهضة في مصر ولبنان والعراق وسورية والمهجر ، كما نمى طاقاته الأدبية والشعرية بمطالعة ما ترجم إلى العربية من آداب الغرب ولا سيما أدب الرومنطيقية الفرنسية، وقد ظهر نبوغه الشعري وهو في الخامسة عشر من عمره" [1] لما تخرج من جامع الزيتونة التحق بكلية الحقوق وكان ذلك سنة 1930 ، وفيها بذل نشاطا أدبيا واجتماعيا كبيرا ، فقاد حركة طلاب الزيتونة، ويعود له الفضل في تأسيس جمعية "الشبان المسلمين " كما ساهم في تأسيس النادي الأدبي التونسي بالعاصمة ، ونادي الطلاب بتوزر وكان هذا بدافع حبه الشديد للوطن ورغبته الإيجابية للمشاركة في معركة التطور الحضاري وخلال هذه الفترة نكب بموت والده ، الذي غير حياته وأحدث هزة عنيفة في نفسه ترجمتها أشعاره وقصائده حيث يقول في إحدى قصائده: [2]

يا موت قد مزقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري

ورميتني من حالق وسخرت مني أي سخر

وفجعتني فيمن أحب ، ومن إليه أبث سري

وأعده فجري الجميل ، إذا ادلهم علي دهري

حيث وجد نفسه مسئولا عن عائلة وجب عليه إعالتها والوقوف على احتياجاتها , ليبتلى مرة أخرى بداء تضخم القلب ، فعانى منه أشد أنواع المرارة وأقسى ضروب العذاب ، ولكنه قاوم المرض وتجاهل نصائح الأطباء ، واستمر في إجهاد فكره حتى اشتد به المرض وألزمه الفراش ، ونقل على إثره إلى المستشفى الإيطالي لتوافيه المنية يوم الثلاثاء ، التاسع من تشرين الأول "أكتوبر" سنة 1934 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودفن بالشابية.

---

[1] حنا ، الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان 1986، ص 555.

[2] أبو القاسم، الشابي:ديوان أغاني الحياة،دط الدار التونسية للنشر 1970، ص140 .

وهكذا خسر الأدب العربي شاعرا "ذا نفس صقلها الألم وأغرقها في أعماق أعماقها ووجهها شطر الصفاء الإنساني الواسع ، فمالت إلى العزلة تطالع وتتأمل ، وتناجي الذات التونسية المتألمة ...وإذ هناك رومانطيقية بعيدة الأغوار ..."[1].

2بيئته:

عندما نتحدث عن بيئة الشاعر وأثرها في نبوغه الشعري فإننا نقصد بيئته الخاصة وبيئته العامة ؛فالبيئة الخاصة تخص أسرته والمحيط الداخلي ، أما البيئة العامة فتخص البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي نشأ وسطها .

أ-2:البيئة الخاصة(الأسرية):

نشأ أبو القاسم الشابي في بيت علم من أسرة محافظة، في كنف والده محمد بن بلقا سم الشابي الذي تلقى العلم في الجامع الأزهر ودرس على يد الشيخ محمد عبده ، ومكث في مصر لمدة سبع سنوات ، ينهل العلم والأدب ، ثم عاد إلى تونس وفيها درس بجامع الزيتونة لمدة سنتين حصل فيها على شهادة التطويع، ثم ولّي القضاء ببعض جهات البلاد التونسية وكانت أولى البلاد التي عمل بها "سليانة" .ثم عاش متنقلا من مدينة إلى أخرى صحبة أسرته الصغيرة وكان والد الشابي على قدر كبير من الأخلاق العالية ، والصفات الرفيعة في الدين والعلم ، فبوأته مكانة مرموقة عالية في مجتمعه.يقول محمد الأمين الشابي واصفا والده وتأثر ابنه أبي القاسم به : « كان يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل ، حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سني تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعاية والده ، يقبس من علمه وآدابه ، كان رحمه الله صادق التقى ، قوي العقيدة ، لا يخشى في الحق لومة لائم ، له غيرة على شؤون المسلمين والإسلام ، تنفعل نفسه بما يجري أنداك من أحداث بالشرق العربي ...[2]» . كما أن الشابي يعترف بنفسه بأفضال والده عليه وبمدى حبه له وتأثره به فيقول:« إنه أفهمني معاني الرحمة والحنان وعلّمني أن الحق خير ما في هذا العالم

[1] حنا ،الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ،ص ص555-556 .

[2] ينظر : مقدمة ديوان أغاني الحياة ،بقلم أخيه : محمد الأمين الشابي ،ص ص9 -10.

وأقدس ما في هذا الوجود [1] » كما أن والده علاوة على تأديته واجبه المهني لم يغفل واجبه الوطني وبادر برأيه في الإصلاح الذي كان طلبة الزيتونة يطالبون به عام 1928، قصد تغيير برامج التعليم التقليدي ، يقول أبو القاسم محمد كرو نقلا عن مجلة الأفكار التونسية « ولما وجهت لجنة الطلبة منشورا إلى رجال الفكر والرأي المهيب بالقطر التونسي تطلب منهم إمدادها برأيهم في الإصلاح ، كان أول جواب تلقته من والد أبي القاسم الذي حرر تقريرا إضافيا احتوى على نحو عشرين صفحة ، ضمنه آراءه في الإصلاح ، أردفه بمكتوب لطيف يعتذر فيه عن التقصير لكثرة انشغاله حيث كان قاضيا على زغوان[2] » .

في كنف هذا الأب الصالح باعتراف أبنائه. الذي يهتم لأمر البلاد والعباد عاش الشابي ينهل من أخلاقه و، وصفاته متنقلا معه بين مشاهد الطبيعة التونسية الجميلة ، مطلعا على عادات وتقاليد مختلفة ، في أدنى البلاد وأقصاها . وكان لهذا كله أثر في صنع اتجاهاته الأدبية والشعرية ، فاختلاطه الكبير بأبناء شعبه في مختلف نواحي البلاد ، جعله يعيش المآسي التي يحياها هذا الشعب ويقف غلى مظاهر التخلف والبؤس التي يعانيها أبناء الأمة ليكون الشعر هو سلاحه للثورة على هذه الأوضاع.

ب-2البيئة العامة(السياسية والاجتماعية):

أما عن بيئة الشاعر العامة فقد تميزت بحياة الضغط والقهر والثورة على مستعمر غاشم وشعب خاضع مستسلم.

فتونس في تلك الفترة خضعت للحكم العرفي الذي أصدرته فرنسا عام 1912 وهو امتداد لسلسلة من المحاولات الانتقامية التي رسمتها فرنسا منذ دخولها إلى الأراضي التونسية في شهر ماي 1881 ، حيث فرضت عليها وضعا جديدا باسم الحماية ، لتنفيذ سياستها التوسعية وتضمها إلى أختها الجزائر، فقد وقعت تونس تحت وطأة الاحتلال الفرنسي باسم النظام والأمن كما نص على ذلك البند الثاني *[2] من الاتفاقية ولكن ؟ كعادة الاحتلال والاستعمار –فالغدر من شيمه حيث اعتدت أول الأمر على النظام الديمقراطي للبلاد ،

[1] أبو القاسم، الشابي : الخيال الشعري عند العرب ورد هذا القول في صفحة الاهداء.

[2] أبو القاسم محمد ،كرو : الشابي حياته وشعره ، ص65.

بإصدارها سلسلة من القوانين ، والتشريعات التي تمكنها من السيطرة على البلاد واستنزاف ثرواتها، والتنكيل بأبنائها والهيمنة على مقاليد الحكم فيها ، فاعتدت على حريات الأفراد ، واستهترت بالتونسيين وامتهنت كرامتهم ووجهت مدافع حقدها وأهدافها الاستعمارية إلى كل مجالات الحياة من قضاء واقتصاد وتعليم وسياسة ؛فاعتدت على السلطة القضائية ، بإنشاء محاكم فرنسية تتولى القضاء إلى جانب المحاكم التونسية يديرها رؤساء فرنسيون ، فامتهنوا الجرائم السياسية بإرهابهم للوطنيين والقوميين .

ولم تكتف بهذا القدر ، فوضعت يدها على عناصر الإنتاج ووجهت السياسة الاقتصادية بما يخدمها ، فوضعت لذلك قوانين ملتوية واستولت على الأراضي الزراعية ، وبذلك أصبح الشعب التونسي مهدّدا بالفقر والجوع . ثم استهدفت الروح القومية وسعت إلى محوها بمحاربة اللغة العربية والإسلامية واضعة لذلك برامج خاصة تستهدف الناشئة لإخراجها عن قوميتها العربية وقطع الصلة بينها وبين ماضيها . وإضافة إلى كل هذا فقد أهملت الناحية الصحية للتونسيين ، فكان عدد المستشفيات ضئيلا ، والأجهزة الطبية اللازمة منعدمة ، فكثرت الوفيات بسبب الفقر المدقع وانتشار الأمراض والأوبئة ويشير أبو القاسم محمد كرو إلى قسوة الأوضاع وبطش المستعمر وقهره للتونسيين فيقول :« فالاستعمار الفرنسي البغيض ، يمتص رحيق الحياة من كينه العام ،ويستغل خيرات البلاد وثمارها .ويحول بينه وبين العمل على الأخذ بأسباب الحياة الصاعدة ،ويعوقه في عناد وعنف عن كل نهوض يهم به، وكل حركة يهدف منها إلى الانطلاق من أغلالها والإفلات من أسره . وليس ذلك فحسب ، بل عمل الاستعمار جاهدا على تنمية جراثيم الفقر والمرض والجهل ، بما كان يفرضه من إرهاق ، ويسنه من شرائع ظالمة عاتية، وما يقيمه من عراقيل في سبيل العاملين المخلصين من أبناء الوطن.[1] »

في هذا الوسط وفي خضم هذه المعاناة وهذه المأساة عاش الشعب التونسي نائما في هذا الشقاء ، مستسلما لغدر الاستعمار . وعاش شاعرنا أبو القاسم يجاهد الاستعمار ، ويدعو الشعب إلى الثورة بأسلوبه الخاص يدعو إلى الحياة بكرامة لمن أراد الحياة .

[1] أبو القاسم محمد ، كرو : الشابي حياته وشعره، ص.80.

ولما بلغت الجرائم الفرنسية حدودا لا يمكن أن يقبلها كل من يشعر بكرامة الإنسانية ، نهض الشعب ملبيا نداء شاعره الذي صاح مرددا : [1]

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

فظهرت حركات وطنية متصدية لهذه السياسة الاستعمارية مطالبة بحرية الشعب واستقلاله ، وبرزت الروح القومية الإسلامية عند الوطنيين التونسيين ؛ فظهرت "جمعية قدماء الصادقية*[1]"تعمل على بث فكرة التطور في الوسط الشعبي .

كما أن الحرب العالمية الأولى أبدت ما أخفته الأيام فوعود الاحتلال الفرنسي للشعوب المستعمرة بالاستقلال إذا هي ربحت الحرب ، كانت وعودا كاذبة مراوغة فخابت آمال الشعب في الاستقلال ، لكن الشعور الشعبي بضرورة الاستقلال بدأ ينمو مع ظهور حركة الشيخ عبد العزيز الثعالبي *[2]الذي طالب بتحرير الصحافة ،ورفع الحصار على تونس وكان لهذا الرجل المصلح دور كبير في بعث الحركة الفكرية والسياسية الشاملة للشعب التونسي ، يقول محمد الفاضل بن عاشور : « وسار الشيخ عبد العزيز الثعالبي في شوال 1337ه‘ جوان 1919م، إلى باريس لفتح طرق العمل ، بالاتصال بمحيط مؤتمر الصلح في فرساي ، وزعماء الحركات التحررية في العالم .. وكان من نتائج هذا السعي أن رفعت حالة الحصار.[2] »

ثم ظهرت في الأفق التونسي محاولات جديدة من أجل تثبيت هذه النهضة في روح الشعب وعقله والنهوض به من بقايا التخلف والجهل والخنوع لإرادة الاحتلال قامت بها مجموعة من الشباب المثقف بثقافة قومية إسلامية عربية أصيلة استقاها من الجامعة الزيتونية ، وكانت هذه المحاولات تهدف إلى بعث التعليم على أسس جديدة ، وقد ظهر ت هذه الأفكار عند لجنة الطلبة التي كان أبو القاسم الشابي رئيسا لها ومنذ ذلك الحين نشأت الحياة الأدبية والفكرية والسياسية في تونس بفضل هذه الجهود.

---

[1]أبو القاسم ، الشابي : ديوان أغاني الحياة، ص500.

[2]محمد الفاضل ،بن عاشور : الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، تونس الدار التونسية للنشر ،1972، ص135.

إذا فهذه هي الأوضاع الاجتماعية والسياسية المؤلمة التي نما وسطها الشاعر أبو القاسم الشابي ، حيث عاصر أمر وأقسى مرحلة في تاريخ بلاده بل تاريخ العرب كلهم حيث كانوا يتخبطون بين مستعمرين ورجعيين وبين دعاة الإصلاح وأنصار الجديد ، فكان لابد أن تحدث كل هذه الأحداث أثرا عميقا في نفسه ، وهو الشاعر المرهف الحس ، النابض بالثورة والألم ، فنشوؤه في بيئة محاطة بهالة من الضلال ومجتمع بال مستسلم لأوضاعه الرثة المهترئة نائما عن الحق راض بالظلم والطغيان الممارس عليه ، فجرت فيه رومانسية ثائرة عجت بها قصائده .

وينقل أبو القاسم محمد كروفي كتابه الشابي حياته وشعره قولا للأستاذ الهادي العبيدي الذي يقول : « لم يكن الشابي من رجال السياسة أو الإدارة فسعى لقلب النظام أو قائدا عسكري فيشنها ثورة دامية ، يزحزح بها تلك الهياكل المتجبرة عن عروشها ، ليفسح للشعب طريق التحرر والحياة ، حياة إنسانية كاملة . وإنما كان شاعرا . والشاعر لا يملك سوى قلبه ووجدانه وعواطفه . فذوب قلبه أناشيد، وحرق وجدانه بخورا في معبد الحياة ، وجند عواطفه لمحاربة الظلم والخنوع. فثار على كل وثن من أوثان الأدب وأغلاله ، وخلصه بنفسه من طرائقه القديمة الممقوتة ، وأساليبه الرثة الميتة . فبعث طرائق فتية رائعة . وأساليب حية ممتعة ، قوية في روحها وموضوعها ، خلابة في فنها وجمالها ، ساحرة في تعابيرها وصورها » فهذا الكاتب يربط الثورة غلى الظلم والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتردية بالثورة في الأدب كما حصل مع أبو القاسم الشابي .

3-ثقافته وبيئته الثقافية:

نهل الشابي أولى ر ايات العلم ، ورشف أولى قطرات الأدب والإيمان والأخلاق من أبيه الشيخ الورع ، فاتسم بالمثالية والأدب ، حيث حرص والده بنفسه على تحفيظه القرآن وأصول العربية ن ومبادئ العلوم الأخرى [1]، وكان يتلقى دروسه التعليمية في المدارس

[1] أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته وشعره ، ص37.

التقليدية أو ما يعرف ب الكتاتيب و كان يحضر حلقات الدروس التي كان يلقيها علماء البلدة[1]

وقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن التسع سنوات فأبان عن نبوغ وذكاء شديد ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره أرسله والده إلى العاصمة التونسية ليلتحق بجامع الزيتونة وفيها درس العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج فيها سنة 1927 نائلا شهادة التطويع .

وفي العاصمة التونسية أخد ينمي نشاطه الأدبي، حيث كانت حياته في العاصمة لمدة تسع سنوات مفيدة جدا على المستوى الثقافي و أهم مظاهر تلك الثقافة مطالعته الكثيرة لمختلف الكتب الحديثة و القديمة، حيث لاحظ كل من يعرفه هوسه الشديد بالمطالعة يقول الأستاذ إبراهيم أبو رفعة:" ....كان من بينه فتى يدخل عليهم بخطى سريعة تدل على الحيوية و النشاط... يأخذ كرسيه بقاعة المطالعة.... وإذا المطلوب مجلدان ضخمان و كتب يحار في حملها و تقليب أوراقها يداه الصغيرتان ، ينكب على دراستها غير مهتم بمن حوله، و لا يتصرف بصره من مطالعة كتاب إلى غيره فكان حينها لسان حال المطالعين"[2]، و بحبه للمطالعة كون لنفسه ثقافة متنوعة الهويات من عربية عريقة مصدرها التراث، حيث اطلع بشغف كبير على آثار الأدباء الكبار أو ما يعرف بأمهات الكتب مثل" الأغاني، صبح الأعشى، نفع الطيب، الكامل الأمالي، العمدة،الصناعتين و غيرها"، كما اطلع على المعاجم كلسان العرب ، و القاموس، و انهال على كتب المهجريين و تأثر بهم تأثرا برز في إنتاجه الشعري و النثري [3] و يتحدّث الدكتور ايميل كيا عن أثر الاتجاهات في المشرق العربي في شعر الشابي فيقول:" قرأ الأدب المهجري و تأثر بجبران خليل جبران في أكثر من متجه عقدي و ثقافي ، و أعجب بما كتبه العقاد في الشعر مفهوما و طبيعة، عملا و وظيفة و رافق الحركة الرومنطيقية عبر ما تناهى

[1] زين العابدين، السنوسي: الشابي حياته و شعره، ، دار الكتب الشرقية، تونس 1956، ص 12 .

[2] فخري أحمد حسن طميلة، أبو القاسم الشابي، دراسة في حياته وأدبه 1973-1974 ص23.

[3] يشير أبو القاسم كرو إلى أن الشابي طالع كتب الادب المهجري وهو دون الخامسة عشر ، وهي سن خطيرة في التفكير و السلوك و لذلك كان له الأثر الكبير في تفكيره و أدبه حيث ترسخت مبادئها فيه مند الطفولة

إليه من أعمال السائرين في موكبها من أدباء العرب كفوزي المعلوف ، و إيليا أبو ماضي"[1].

و لجهله باللغات الأجنبية فقد عكف على قراءة ما يترجم إلى العربية من الآداب الأجنبية، سواء في الأدب الفرنسي أو الانجليزي ، خاصة كتب لامارتين و غوتيه، حيث أعجب بها إعجابا شديدا و تأثر بسحرها الرومانسي و برز هذا في أدبه شعرا و نثرا حتى أنه لم يعرف إذا كان خريج الثقافة العربية أصيلها ، لدرجة أصابت بعض النقاد بالذهول و منهم محمد مندور الذي وصف دهشته و إعجابه بهذا الشاعر المتميز فمن الغريب أنه عندما طالع بعض قصائد الشابي و مقالته النقدية ، كان يجزم بأن هذا الشاعر قد كان يجيد لغة أجنبية لا تمكنه من الإلهام بأدب الغرب فحسب ، بل من تذوقه لتلك الآداب و إحساسه بها و تمثله لها ثم عاد إلى ما كتب عن تاريخ حياته، فأخذته الدهشة كل الدهشة عندما علم أنه لم يكن يعرف أي لغة أجنبية، و أنه تخرج من جامع الزيتونة بتونس، ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ، و تخرج منها سنة 1930 م ، و لكنه لم يتعلم اللغة الأجنبية ، و عندها أدرك محمد مندور أنه أمام إحدى تلك العبقريات التي لا يستطيع تفسيرا لها لأنها هبة من الله".

- و لما تخرج من جامع الزيتونة ، التحق بكلية الحقوق سنة 1930 م ، كانت حياة الشابي في تونس العاصمة ناشطة في المجالات الاجتماعية و الأدبية و ربما كان أهم نجاح أدبي له تلك المحاضرة التي ألقاها عام 1929 م في نادي الخلدونية في تونس، و العجيب أن هذه كانت أول محاضرة يلقيها، و كان عنوانها " الخيال الشعري عند العرب" ما يدعو إلى القول أن الشابي كان أجرأ الشعراء العرب الطليعيين و أكثرهم تطرفا في النصف الأول من هذا القرن[2] حيث ازدوجت في أدبه الدعوة فنادى بتحرير الأدب من قيوده التقليدية ، و نادى بتحرير الإنسان من المظالم الاجتماعية ة السياسية ، و ناصر المرأة و سعى إلى تحريرها من كل أشكال الجمود و التزمت"، كما أن البيئة الثقافية في تونس كانت تشهد في هذه الفترة نوعا من النهضة الأدبية شبيهة بنهضة المشرق

[1] الأعمال الكاملة لأبي القاسم الشابي، م 2 ، الشعر– تح: إيميل أ.كيا ،ص 7.

[2] سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ص 427

العربي من حيث النضج الأدبي، و أهمية القضايا الأدبية التي أثارتها الصحافة التونسية آنذاك[1] و قد برزت ملامح هذه النهضة مع الشابي و التونسي محمد الشاذلي خزندار الذي ألقى محاضرة سنة 1910 عنوانها" حياة الشعر وأطواره " حيث عرف الشعر بقوله:" الشعر عبارة عن كل ما أحدث هذه النفوس تحريكا للشعور و الإحساس و طربا للعقول"[2].

- و من خلال هذا التعريف للشعر لا يمكن أن نستشف إلا أن الشاعر يميل نحو الرومانسية حيث يقودنا هذا التعريف إلى التعريف الوجداني للشعر الذي قال به العقاد و شكري و غيرهما من أدباء المشرق ما يدل على أن البيئة الثقافية في تونس كانت مواكبة للحراك الثقاف العربي المشرقي.

و هكذا يكون شاعر و ناقد نشأ في محيط أدبي كان منفتحا على تيارات فيه من الشرق و الغرب، مع وجود محاولات معاصرة في تونس للتجديد في الشعر و الكتابة على النمط الرومانسي كما أوردنا عن الشاعر خزندار فأدرج موضوع الطبيعة و اللجوء إلى الأحلام التأملية و الولوج إلى ذات الشاعر بحثا عن التجربة الشخصية و لكن بالرغم من توفر هذه الخصائص في الشعر التونسي في تلك الفترة إلا أن الشابي يبقي ظاهرة نادرة في تاريخ الشعر التونسي الحديث حيث كان يتمتع ببصيرة نافذة و رؤيا اجتماعية و شعرية عميقة ساهمت في دمج تجربته الشخصية مع التجربة الجماعية ، حيث دمج عذابه الشخصي مع الإخفاقات الوطنية لتصبح جزءا من تجربته الداخلية فتخرج شعرا مليئا بعواطف الألم و العذاب الشخصي.

آثـــــــــــــــــــــاره:

رغم قصر حياته و متاعب المرض التي عانى منها أبو القاسم الشابي، إلا أنه خلّف لمحبي الشعر العربي و متذوقي الأدب ،تراثا أدبيا و شعريا ضخما،صارخا بآراء جديدة في مفهوم الشعر و وظيفته بحماس و جرأة نادرتين، مبرزا شاعرية متفردة و طموحا

[1] محمد الفاضل، بن عاشور: الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، تونس، الدار التونسية للنشر 1972،ص 95.

[2] محمد صالح ، الجابري: الشعر التونسي المعاصر،1870-1970، ص 120.

جامحا برومنطيقية حالمة، و من بين هذه الآثار التي تتحدث بنفسها عما بلغه شاعرنا من ثقافة و نبوغ و مكانة شعرية:

1) ديوان«أغاني الحياة»

هو ديوان قصائده، حيث اختارها و رتبها بنفسه قبل موته،و اختار له اسم"أغاني الحياة"و اعتزم طبعه في مصر بإشراف و تقديم صديقه أحمد زكي أبو شادي إلاّ أن مرض الشابي ووفاته حال دون ذلك.أصدره محمد الأمين الشابي عام 1955 م للمرة الأولى في دار الكتب الشرقية، و على الترتيب الذي اختاره صاحبه، طبع ثانية في الدار التونسية للنشر، و تتالت الطبعات في أكثر من بلد عربي ، و قد قام الدكتور إميل كبا بترتيب قصائد الديوان و تصنيفها وفق محاور خمسة تشكل موضوعات حسب القصائد و هي:

01 – في التأملات { من حديث الشيوخ، شكوى اليتيم،المجد،أبناء الشيطان،حرم الأمومة، فلسفة الثعبان المقدس}

02 – في الحب و الحبيبة{كهرباء الغرام،إياك،صيحة الحب،أيها الحب، الحب}

03 – في مناجاة الطبيعة

04 – في هم الأسرة و الحياة.

05 – في الوطنية و الحرية و النضال.

و لهذا فإن ديوان الشابي هو في رأينا، أهم مصدر لدراسة الشابي و معرفة جميع الحقائق الغامضة أو المجهولة في حياته و شاعريته، وهو إلى ذلك أمجد أثر و أعزه من آثار الشابي، و خير وأعمق ما يدل على عبقريته و نبوغه...[1]

فقصائده التي ضمنها ديوانه تحدثنا عن بداياته المبهمة و عن محاولات تسعى إلى تبرير وجوده و البحث عن صورته هو لا صورة إنسان آخر، حيث عكست حياة الشاعر الذاتية و الموضوعية و علاقته بوطنه ، فأغاني الحياة هو خزان الأحاسيس و المشاعر و الآراء النقدية و المصاعب و الأحداث التي واجهها الشاعر في حياته.

[1] أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته –شعره، ص 132.

2) الخيال الشعري عند العرب:

بدأ أول الأمر محاضرة ألقاها في قاعة « الخلدونية» ثم نشرها في كتاب عنوانه" الخيال الشعري عند العرب" وقد أثار في كتابه هذا آراء جريئة حول مفهوم الشعر ووظيفته، و الخيال الشعري عند العرب ، فأثارت آراؤه هذه زوبعة من النقد و الخصومة الأدبية في الصحف و المجلات التونسية و الكتاب في مضمونه يشمل سبع فصول هي:

01 – الخيال و أقسامه.
02 – الخيال الشعري و الأساطير العربية.
03 – الخيال الشعري و الطبيعة.
04 – الخيال الشعري و المرأة.
05 – الخيال الشعري و القصة.
06 – فكرة عامة عن الأدب.
07 – الروح العربية.

أما من حيث الموضوع فهو مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب و الأوروبيين في دراسة نقدية.

3) رسائل الشـــــــابي:

هي مجموعة كبيرة من الرسائل الأدبية القيمة،تبادلها الشاعر مع كثير من أدباء مصر و تونس و سورية، منها رسائله حول القصة في الشعر العربي، و رسائل أخرى كاتب بها كلا من الدكتورين الشاعرين، إبراهيم ناجي و أحمد زكي أبو شادي، وأخرى كاتب فيها صديقه الحليوي محمد، و مصطفى خريف، ومحمد البشروش.

و قد احتوت هذه الرسائل اراء قيمة في الأدب العربي و فنونه المختلفة، و من مشاعر رقيقة و عذبة، ومن تصوير دقيق لآلامه.

4) يوميات الشابي:

و هي مذكراته اليومية بدأ في تدوينها في كانون الثاني عام 1930 م حيث سجل فيها آراءه و خواطره في شؤون الحياة المختلفة و ما اتصل بها من آلام و أفراح و قد نشرت كاملة سنة 1966م ،تحدث فيها على حياة المدارس و النزعة الإبداعية و الحركة الثقافية في تونس عام 1930 م ، كما تحدث عن الأدب الشعبي و الأدب الفصيح و بين الأدب و الفلسفة دون أن ننسى أنه كان يكتب في هذه اليوميات عن مرضه حيث ورد في يومياته قوله: « أشعر اليوم بفتور في بدني ، وتوعك في مزاجي لا أدري مأناه، و أحس بكآبة عميقة ، تستحوذ على مشاعري، و تقبض على قلبي و تجعلني أكره الكتب و الأسفار و المحابر و الأقلام ، لا أريد أن أذكر أكثر مما ذكرت لأني أرى النوم يغالبني، و الإعياء يدفعني للنعاس[1]».

5) جميل بثينة:

هي محاضرة عزم على ألقائها في النادي الأدبي و لكن المرض حال بينه و بين ذلك.

6) السكير:

و هي مسرحية من فصلين من نوع الاعتراف، و هي أصعب أنواع التأليف.

7) الهجرة المحمدية:

محاضرة ألقاها في نادي الطلاب الأدبي بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية سنة 1351 ه و نشرها في مجلة العالم

8) مقالات مختلفة:

و له مجموعة من الدراسات و المقالات المختلفة تناول فيها شؤون الأدب العربي في القديم و الحديث ومن بينها:

- النفس التائهة.

[1] "يوميات "يوم الثلاثاء 14 جانفي 1930نقلا عن أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته وشعره ، ص53.

- اليقظة الإسلامية
- الشعر ماذا يجب أن يفهم منه.
- أبها العالم.
- أغنية الألم.
- صفحات دامية من حياة شاعر
- روح ثائرة.
- يقظة الإحساس

❖ **دعوته التجديدية:**

لقد كانت الرسالة التي بعث بها الشابي إلى صديقه السوري الدكتور " علي ناصر" كاشفة لكل ما يرغب فيه و ما يريده من تغيير و تجديد في الشعر، و ميله الشديد إلى النزعة الرومانسية حيث يقول:« إن الأدب العربي في حاجة إلى ثورة أدبية تجتاح كل ما رث من قديمه ، و بلى من جذوعهن إلى نهضة رومانسية تنفح فيها روحا جديدا و تبعث فيه لهيب الحياة القوية الثائرة، فتخلقه خلقا كاملا جديدا يلاءم نفوس الشرقيين الطامحين لآمال جديدة و حياة كاملة.إن أدبنا لم يتحدث بجمال الوجود ، ولم ينبع شعره برحيق هذه الفتنة الساحرة، فنحن في حاجة إلى من يحدثنا بمثل ذلك ، إن أدبنا لم يتحدث عن عواطف الإنسان البعيدة و آلامه العميقة و أفكاره الغريبة المستترة النائية و نحن في حاجة إلى من يحدثنا بذلك[1]»

فمن خلال هذه المقولة نلاحظ أن الشاعر يرى بأن الأدب العربي يحتاج إلى بث روح جديدة فيه تواكب أحلام و تطلعات العرب و هذه الروح هي التيار الرومانسي الذي يغوص و يتغلغل في أغوار النفوس وهذا ما افتقده الأدب، كما يرى الشابي كان من أبرز الأعلام الذين عكفوا على بث التحول و التجديد في الشعر العربي، و في القصيدة العربية، حيث خطى خطوة في الارتفاع بالمفردة في الشعر من القاموس اللغوي إلى قاموس المنطق الشعري، و الخروج بالجملة الشعرية إلى الزمن الفني. و بموضوع القصيدة من مكان المناسبات و الاستجابة للأحداث المباشرة إلى المفاجأة

[1]ابو القاسم محمد كرو ، نقلا عن:" عبد الحميد أحمدي(مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي)،مجلة إضاءات نقدية،السنة،1،عدد 4ن،شتاء كانون الأول 2011.

و المغامرة.فكان من أولئك الذين رفضوا أن يكون الشاعر مجرد مؤرخ لعصره و ما فيه من عادات و تقاليد وأخلاق.بل راح يصدح بأن الشاعرية الحقة هي ارتفاع الشاعر بما يختلج في وجدانه إلى آفاق واسعة رحيبة ، تفوق سماء بيئته المحدودة ، فينطلق من الواقع إلى عالم من صنع الخيال و الأحلام ، ليعبر بكل حرية عن عواطفه و أحاسيسه سالكا بذلك منهج الرومانتيكين الذين اتجهوا إلى ذواتهم و أعماقهم و عواطفهم و استخرجوا منها بواطنهم و أسرارهم.

و الشابي كشاعر رومانسي فقد ركز في التجربة الشعرية على الجانب الوجداني حيث عالج فيها موضوعات رومانسية تحمل كل صفات المذهب الرومانسي منها الطبيعة، المرأة و الحب ، الألم والتشاؤم، الوطنية والحرية.

أ. 2 الرومانسية في الشعر الجزائري الحديث:

يعتبر الكثير من الدارسين للأدب الجزائري أن نهضته الحديثة بدأت مع الأمير عبد القادر ، حيث وصفوه بأنه زعيم مدرسة الإحياء في الجزائر،مثلما كان البارودي زعيم مدرسة الإحياء في مصر، فالأدب الجزائري شهد تطورا ملحوظا مع الأمير عبد القادر نظرا لما كان يعتريه من انحطاط و ضعف، فساهم الأمير في نهضته بفضل جزالة قصائده ، وقوة تعابيره،و سلامة لغته، ثم تلي ذلك فترة من الركود أصابت الشعر بشكل كبير تبعا للخمول الفكري و الثقافي ، و امتد هذا الركود حتى أواخر القرن التاسع عشر " أي المساحة الزمنية الممتدة مابين الحربين من أوائل العشرينيات إلى الأربعينيات – حيث شهدت هذه الفترة انبعاث النهضة الأدبية الجزائرية ،بظهور الصحافة ، و انتشار التعليم ، و إحياء التراث و توثيق الصلة بالنهضة الفكرية و الأدبية في المشرق ، وكان هذا على أيدي الرعيل الأول من الأعلام و الرواد من أمثال ابن باديس [*7]، أبو اليقظان ، العقبي [*8]، التبسي*العمودي، محمد العيد بوكوشة ، السنوسي، الزاهري و غيرهم,,,,,,,,,,,,"هؤلاء الذين كانوا دعاة و مربيين و كانوا في نفس الوقت ذاته أدباء و مصلحين ، كتابا و شعراء[1]

فكانت الحركة الإصلاحية التي تبناها هؤلاء العلماء من أهم العوامل التي ساعدت على بروز نهضة شعرية في الوطن و معها بدأت حداثة الشعر الجزائري بالمفهوم الدقيق لكلمة حداثة[2]

يقول الشيخ مبارك الميلي في معرض تقريظه لكتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لصاحبه محمد الهادي الزاهري السنوسي [*9]" فقد شعر شعراؤنا بحياة جديدة فنفضوا أيديهم من ذلك الأدب البالي المشوه بلغة التأليف و نفذوا إلى الأدب الغض و استمدوا منه

[1] محمد بن سمينة: في الادب العربي لحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في اثأر الإمام عبد الحميد ابن باديس ، د ط ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر،2003،ص 21.

[2] محمد ناصر :الشعر الجزائري الحديث و اتجاهاته الفنية ،ص 15.

شعورهم الرقيق الطاهر و على أمثلة هؤلاء الشباب نعلق أمالنا في تجديد الأدب الجزائري و رفع مستواه"[1]

فهذا القول للشيخ مبارك الميلي[*10] يبرز مدى تعلق هؤلاء المصلحين بالأدب و رغبتهم في تطويره.

و يقول البشير الإبراهيمي:" و تلك الكتائب الأولى من تلاميذ بن باديس هم طلائع العهد الجديد الزاهر و قد سمع الناس لأول مرة في الجزائر تلك البلابل شعرا يؤدي معنى الشعر كاملا و قرؤوا كتابة تؤدي معنى الكتابة"[2]

حيث أخذ الشعراء يصبغون شعرهم بألوان مذهبية عدة ، و استطاعوا أن يستجيبوا و يتفاعلوا مع بعض الاتجاهات التي قد تعتبر حينئذ جديدة كالاتجاه الوجداني الرومانسي[3]

فالحركة الشعرية الجزائرية لم تتوقف على إحياء التراث و بعث القصيدة من خلال الاتجاه التقليدي الإصلاحي و إنما تجاوزته إلى اتجاه آخر هو الاتجاه الوجداني الرومانسي، حيث بدأت بوادره مع بداية الحرب العالمية الأولى ليترسخ بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية، فعرف هذا الاتجاه بطابعه الوجداني ، فقد توجه الشعراء إلى مخاطبة العاطفة و التقليل من توظيف اللغة و الإيقاع التقليدي وكان هذا التوجه نتيجة لتأثرهم بالشعراء الرومانسين في المشرق العربي جماعة أبولو و المهجر، فكل الشعراء الجزائريين بدأ برمضان حمود .....إلى مفدي زكريا [*11]و أبو القاسم سعد الله وأحمد سحنون و السائحي [*12] ، فقد تناولوا في أشعارهم قضايا تعد بحق من صميم الشعر الرومانسي ، كموضوع الطبيعة، الفرد و المجتمع ، النزعة الثورية و كلها نتاجا لوضعية المجتمع الجزائري ، و ما كان يطبقه عليه الاحتلال الفر نسي من شتى ألوان العذاب المادي و المعنوي يقول محمد العيد آل خليفة[*13] :" إن المجتمع في تلك الفترة فرض علينا

[1] ينظر شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، نقلا عن محمد بن سمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر ، ص 18.

[2] ينظر السجل ص 48 نقلا عن نفس المصدر.

[3] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث و اتجاهاته الفنية ،ص 15.

أن نطرق مواضيع معينة ، و لذا جاءت أشعارنا توجيهية تربوية اجتماعية على أن الواجب يقتضي من صاحبه الموهبة و أن يسخرها لفائدة شعبه لإفادته"[1].

و لهذا كانت الموضوعات متصلة بذواتهم و ذوات مجتمعهم معبرة عن قضاياه ، مصورة لتطلع الشاعر فيما يراه من تطلعات الأمة ، فتحررت العملية الأدبية بذلك من أغلال الصنعة و التكلف و السير على منوال القدماء و اختارت لها مسيرة أخرى هي مسيرة التجديد و التطور بما يتماشى و الأوضاع السائدة آنئذ ، فتميز الشعر في هذه الفترة بخصائص الرومانسية المحضة منها تمجيد الذات و التطلع إلى الحرية و الجنوح إلى الخيال و الذات الشاعرة,

و كان لظهور هذا الاتجاه و دفعه نحو النمو و التطور مجموعة من الدوافع و المؤثرات فأما المؤثرات فيمكن رصد نوعين منها أولها المؤثر العربي المشرقي ، و الأخر المؤثر الغربي

أما التأثر بالمشارقة: فقد كان نتيجة للإقبال الكبير على شعرهم و أرائهم النقدية ومن تلك الاتجاهات نجد جماعة أبولو و المهجر و قد كان معروفا لدى الأدباء الجزائريين إنتاج جماعة أبولو مند نشأتها خاصة الأدباء الجزائريين في تلك الفترة كان معظمهم من الذين هاجروا إلى تونس و نهلوا العلم من جامع الزيتونة ووجدوا في الصحافة و المجلات التونسية و الوسط الثقافي التونسي مجالا رحبا لصقل مواهبهم و الاطلاع على الحراك الثقافي الأدبي في المشرق كما أن مجلة أبولو تصل إلى الجزائر بشكل منتظم و كان لأحمد زكي أبو شادي مؤسس جماعة أبولو معجبون من الشعراء الجزائرين، كما أن علاقته بالشعراء الجزائريين بدت أكثر وضوحا بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تلقت الصحافة الجزائرية نبأ وفاته بأسى كبير ، حيث تواردت عليها قصائد من عدد من الشعراء ترثيه ، وممن كتبوا في ذلك ؛ أحمد معاش الباتني محمد الأخضر السائحي ،حيث

[1] الشعب الأسبوعية (28 أكتوبر 1976) ص 68 نقلا عن محمد بن سمينة: في الادب العربي الحديث بالجزائر ، الفنون الأدبية في أثار الامام بن باديس ، ص 68.

أظهرت هذه النصوص مكانة الرجل في الأوساط الأدبية الجزائرية وهذا ما يثبت تأثرهم بشعر المشرق العربي[1].

- أما التأثر بالاتجاهات الغربية : فكان المتوقع أن يكون التأثر بها قويا بحكم الثقافة الفرنسية التي كانت مسيطرة على المجتمع الجزائري طوال الحكم الاستعماري ، ولكن هذه التوقعات لم تحدث إلا مع أفراد قلائل ن فقد كانت صلة الشعراء بالشعر المشرقي أقوى واستفادتهم منه أكبر ، وهذا لأن الحذر من كل ما هو استعماري جعل الشعراء الجزائريين يزهدون حتى ثقافته وأدبه ، كون أغلب الشعراء ينتمون إلى الحركة الإصلاحية ذات الطابع السلفي ، ولكن هذا لم يمنع بعض المتعلمين للثقافة الفرنسية من التأثر بالتوجهات الغربية منهم ؛ رمضان حمود ، أحمد رضا حوحو الطاهر بوشوشي ، عبد الله شريط ، مبارك جلواح وقد كان رمضان حمود من أوائل الداعين إلى الاحتكاك بأدب الغرب دون الذوبان فيه ، وقد حقق ذلك على مستوى التنظير من خلال مقالاته التي نشرت بعضها في مجلة الشهاب ، كما قدم رؤيته للشعر من خلال نصوصه التي على قلتها قدمت رغبته في التحرر من قيود عمود الشعر وقدم مفهوما جديدا للشعر يغلب عليه الطابع الرومانسي .

ومن الدوافع التي أدت إلى ظهور وتطور هذا التيار في الجزائر نذكر :

- دوافع اجتماعية واقتصادية وسياسية :فالرومانسية ظهرت في الشعر الجزائري نتيجة تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وما تجرعه الشعراء من قهر اجتماعي وقمع سياسي ، وكبت للحريات ، كما كان الحال في أوروبا حيث عرفنا أن الرومانسية إنما كانت ثورة على الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية .

ولكن يشير محمد ناصر الى الفرق بين الرومانسية في الجزائر وفي الوطن العربي والرومانسية في أوروبا فيقول : " نود أن نشير إلى أنه ينبغي ألا نتصور أنه وجدت في الشعر الجزائري مدرسة أو مذهب رومانسي بالمفهوم الدقيق للكلمة ، فان الرومانسية كما عرفتها أوروبا، كانت فلسفة متكاملة في الحياة والمجتمع ،

[1] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته الفنية ، ص ص 93- 94.

بينما ظلت في الجزائر وفي سائر الوطن العربي ، مجرد اتجاه لاختلاف العوامل والظروف"[1]

ولكن هذا لا ينفي أن الحركة الرومانسية في الجزائر إنما تجسدت مع بواد اليقظة القومية قبيل الحرب العالمية الأولى وأثنائها حيث ظهرت العديد من النصوص في هذه الفترة تصف الواقع المرير ، في نغمات يائسة ، ونظرة قاتمة ن ومشاعر واعية بآلام الإنسانية المعذبة وتطلعاتها إلى غد أفضل ، وقذ كانت العناوين التي حملتها تلك القصائد تحمل صبغة ثورية ووعي كامل بالتهديد الذي يترصد الأمة الجزائرية في قوميتها وعروبتها وإسلامها ومن بين هذه القصائد: زفرات ، زفرات العشي ، دمعة على الملة ، دمعة حارة على الأمة ، دمعة كئيب ، الحيران ذي الشجن ...وغيرها

فالأوضاع المؤلمة التي فرضها المستعمر آنذاك تعد مؤثرا أساسيا في طغيان مشاعر الكآبة التي لونت الشعر الجزائري حتى غذت طابعا عاما ميز أغلب النتاج الشعري في العشرينات حيث صحبت النهضة الشعرية أوضاع قلقة تمثلت في الصراعات الدينية والفكرية بين دعاة السلفية والمتفرنسين من جهة وبين الطرقيين والسلفيين من جهة ثانية ومحاولات المستعمر الفرنسي لطمس معالم الشخصية الجزائرية وبتر ارتباطها بجدورها العربية الإسلامية كل هذه الصراعات أججت رغبة الشباب الذين كانوا يحاولون زحزحة القديم المتحجر ونشر أفكار ثورية مناوئة للاحتلال .

- دوافع نفسية وبيئية : فالبيئة بما حوته شغلت شعراء الاتجاه الوجداني وأثرت في عواطفهم أيما تأثير وأغلب شعراء هذا الاتجاه في الجزائر كانوا من سكان الصحراء ن فكانت البيئة مؤثرا جوهريا في نهجهم الشعري . ولا شك أن البيئة لا تكفي لتصنع شاعرا رومانسيا وهذا ما عبر عنه عبد الله الركيبي ، فالحس المرهف ، والنفس الشاعرية عملت على التأثير بشكل كبير في خلق الاتجاه الوجداني ومن

[1] المرجع السابق : ص85.

بين الحالات النفسية التي كان يعانيها الشعراء في تلك الفترة حالات القلق والاضطراب المستمر تحت وطأة الاحتلال.

وعليه يمكن تحديد مفهوم الشعر الوجداني في الجزائر بأنه ذلك الاتجاه الذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وترسخ بعد الحرب العالمية الثانية ن متأثرا بالحركة الرومانسية العربية في المشرق والحركة الرومانسية الغربية وذلك بجنوح أصحابها إلى الخيال والذات الشاعرة وانصرافهم عن الموضوعات القديمة فكتبوا عن الطبيعة" ووظفوها توظيفا روحيا ، كما وظفها أبو القاسم الشابي توظيفا ثوريا ليوقظ بها المشاعر والنفوس ... فكذلك كان شأن إخوانه في الجزائر ، فصوروا بها لوحات بقيت حية نابضة محتفظة بألوانها وفيض ينابيعه"ا[1]

فهذا عبد الله شريط يصف الصيف فبقول : [2]

هو ذا الصيف يا فؤادي ينساب بجنبي مفعما باللهيب
قد تولى عهد الربيع الذي شاخ سراعا ومال نحو الغروب
أيها اللهب سوف تمتص القلب من مسحة الشباب الرطيب
أيها الصيف المسربل غما ، أرق أنت في جفون الليالي

كما عني الشعراء بالوطن والفرد والمجتمع والأمة ن حيث فاض شعرهم برومانسية ثائرة تتوق إلى الحرية وكسر القيود فهذا رمضان حمود يقول : [3]

بكيت ومثلي لا يحق له البكا على أمة مخلوقة للنوازل
بكيت عليهم رحمة وصبابة وإني على ذاك البكا غير نادم
ذرفت عليهم أدمع من نواظر تساهر طول الليل ضوء الكواكب

[1] أحمد عوين : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر 2001،ص5.

[2] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته الفنية، ص511.

[3] محمد الهادي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ط1، المطبعة التونسية ، تونس ، 1926 ، ص173.

الرومانسية في شعر رمضان حمود:

*لمحة في حياته

1بيئته الاجتماعية

2 بيئته الثقافية

3 آثاره

4 دعوته التجديدية

1لمحة في حياة حمود رمضان :

هو رمضان حمود بن سليمان بن قاسم ولد سنة 1906 بمدينة غرداية ، شاعر ، كاتب ، عرف بآرائه الثورية وأفكاره التقدمية في الأدب والاجتماع،تعلم بمدينته غرداية ثم انتقل إلى تونس . ولما عاد منها سجنه الفرنسيبون عام 1925 ثم تآمروا عليه لاغتياله ، فأخطأته يد العملاء ، توفي وهو في الثالثة والعشرين من عمره [1] بعد أن أصيب بمرض السل الذي أعيا جسمه ، فانطفأت شعلته سنة 1929 وهو في فورة الشباب وقد نعاه الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب ووصفه بالشاعر النابغة والأديب الفتى والمصلح الوطني ومثل رحيله ببتر عضو من جسد الأمة وعزى فيه الوطن والملة والأدب.

2 بيئته : مثلما تحدثنا عن البيئة الاجتماعية والثقافية لأبي القاسم الشابي فسندرسها كذلك عند حمود رمضان لنقف على مدى التأثير الذي خلفته هذه البئة في شعرهما من اختلاف وتشابه.

البيئة الأسرية :

ولد رمضان حمود وترعرع في أحضان والديه وهو من أسرة محافظة من أصل مزابي وكان لوالده وجده أكبر الأثر في تنشئته تنشئة صالحة بما زرعوه في نفسه منذ الصغر من استقامة في الدين وتمسك بالأخلاق الكريمة وحب الوطن كان ينتقل مع والده إلى

[1] ينظر : عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ،1970، ص153.

مكان عمله حيث كان تاجرا ولما ا تنقل معه إلى غليزان التحق بإحدى المدارس الفرنسية وهناك شهد له بالذكاء والنبوغ ولكنه اصطدم بواقع التعليم في الجزائر المستعمرة ما أشعل في نفسه الثورة منذ الطفولة .

البيئة العامة (السياسية والاجتماعية):

إن البيئة الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي عاصرها شاعرنا رمضان حمود كثيرا ما تشبه في واقعها و مرارتها بيئة أبي القاسم الشابي على اعتبار أن كل من الجزائر و تونس تعرض للاحتلال من طرف الاستعمار الفرنسي و لذلك تميزت شخصية رمضان حمود بالثورة في كل الجهات و من جميع المنطلقات ، لمواجهة محنة فرنسية في فترة مبكرة من مستهل القرن العشرين، هذا الاستعمار الذي بسط هيمنته على الجزائر طولا و عرضا و عاث فيها فسادا، و أخل ببنيتها الثقافية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية ، و سن قوانين جائرة في حق الشعب ، فلم يرحم الكبير و لا الصغير و لم يحترم لا الأحياء و لا الأموات ، فخرّب الدّيار و قتّل ،شرّد ،سلب ، جوّع و جهّل .و كان الشعراء يتأملون بأسى مرير هذا الشعب المغلوب على أمره، و ما استشرى فيه من أدواء و علل و جراثيم بشرية. فقد جاء في جريدة النجاح « كلّ من أدرك أحوال الأمة الجزائرية مند 1870 و قاس على ذلك العهد بالعهد الجديد الذي نحن فيه يرى الفرق الكبير و التقهقر الجسيم الذي حلّ بها [1]» . حيث أُهملت الحياة الاجتماعية و السياسية و الفكرية للجزائريين، و انتشر في أواسط الشعب البؤس، الجهل، الفقر و المرض بسبب حرمان السلطات الاستعمارية الجزائريين من الثقافة ، و احتكارها للنشاط الاقتصادي ، وحرمانهم من فرص الحياة الطبيعية ، كما حاولت جاهدةً مسخ معالم الشخصية الجزائرية أو فصلها من جذورها . فكان قانون التجنيس و التمسيح .ثم إنها مارست ألوانا مختلفة من العذاب على الأهالي لإخضاعهم ، فكانت سياسة الأرض المحروقة ، وقانون الأهالي ، المحتشدات و المعتقلات و قانون التجنيد الإجباري . كما أن الوعي السياسي في تلك الفترة كان ضعيفا و الأمية منتشرة بشكل رهيب ، ولذلك يمكن وصف الوضع

[1] أحمد شوقي الرفاعي : الشعر الوطني الجزائري من سنة 1925 إلى سنة 1954، د ط ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص14.

السياسي و الاجتماعي في فترة ظهور شاعرنا أنه يتسم بالجمود و الفراغ ، و الاحتياج الملّح إلى شروط ضرورية لانبعاث وعي وطني قوي ، حيث خلت الساحة الوطنية من الحركة السياسية و القادة الوطنيين ،و لهذا كان لابد للشاعر أن يكون صوت الوطن و صدى الأمة.

2 ثقافته و بيئته الثقافية:

إن ثقافة رمضان حمود بدأت باكرا، ففي سنواته الأولى زاول حفظ القرآن الكريم ، و هناك التحق بإحدى المدارس الفرنسية، و بها تعلّم مبادئ اللّغة الفرنسية و العربية، فطوى باجتهاده في سنتين ما يطويه غيره في أربع سنوات، لكنه كباقي التلاميذ الجزائريين اصطدم بمأساة التعليم في الجزائر ، حيث غدا التلميذ ممزقا بين التعليم الفرنسي ذو المناهج العصرية،لكنه مهّدم للرّوح و مقومات الشخصية الجزائرية، و التعليم العربي الحر، و الذي عرفته الكتاتيب و المساجد ، و لكنّه علّيم الأساليب، ضعيف المناهج ، لذلك أرسله والده إلى تونس و هو في السادس عشرة من عمره.ضمن البعثة العلمية للميزابيين ، و في البعثة ربّاه مشايخه و زرعوا فيه حبّ الاستقامة خلقا و دينا، و بثّوا في نفسه حب التضحية، و في تونس تلقى تعليمه في مدارس عديدة ، و فيها تكوّن فكريا ، أدبًّيا و سياسيا .منها السلام و المدرسة القرآنية الأهلية ثم المدرسة الخلدونية فالجامع الأعظم.درس الخط العربي و برع فيه كما درس مبادئ الجغرافيا و التاريخ، ثم النحو و الصرف و التشريح. و الهندسة و كوّن مع بعض إخوانه الطلبة في البعثة جمعية أدبية وطنية و كان شغفه الشديد بالمطالعة من أسباب نبوغه حيث يقول في كتابه بذور الحياة: « إن ولوعي بالمطالعة في كثير من الفنون كبير و بالأدب خاصة أكبر، فأشعر براحة عظيمة لا يفوقها إلاّ حضور صديق أديب أراه بجانبي يشاركني في تصوراتي و أحلامي[1]».

أما البيئة الثقافية التي عاصرها شاعرنا فكانت تتميز بالضعف و الجمود بسبب الاضطهاد الفرنسي للثقافة و اللغة الوطنية، و فرضه اللغة الفرنسية لغة رسمية و اعتبار العربية لغة

[1] نقلا عن: حواش مصطفى بن بكير (من المئوية الأولى للأديب الثائر حمود رمضان- إخلاصه لوطنه يستوجب وقفات للتذكر)، الشروق اليومي : 21-08-2006.

أجنبية ، بل وصل به الأمر غلى حرمان الجزائريين من التعليم كليا. حيث ساد الجهل و عمّت الأمية و فسدت العقول و القائد بسبب ما كانت تنشره الطرق الصوفية من خرافات و تحريفات في الدين و الدين بريء منها كل البراءة. كما أن المدارس التي أنشأها الاستعمار ، لم تكن إلاّ خدمة لمصالحه و أهدافه المعروفة على اعتبار أن : « أولوية الثقافة الفرنسية كانت أمرا مسلمّا به[1]»، و لهذا كان التكوين الثقافي للجزائريين ضعيفا جدّا، بسبب احتكار السلطات الاستعمارية للثقافة الفرنسية و منعها للثقافة الوطنية.

و مع ظهور الحركة الإصلاحية بقيادة مفكرين و علماء أجلاء، بدأت الحياة الثقافية ترى النور،حيث نشطت حركة التّعليم و ظهرت مبادرات لفتح المدارس الحرّة و استعمال المناهج التربوية الحديثة. ومع اهتمام هؤلاء المصلحين بالشعر و بالأدب، بدأت الحياة الفكرية و الأدبية تنتعش و تنفتح على آفاق جديدة و مذاهب مختلفة.

إذًا فشاعرنا واجه أوضاع التخلف التي عاشتها الجزائر مند ابتلائها بالاحتلال ، و هي أوضاع تمثلت في الجهل و الفقر و الأمية و الاستغلال و الجمود المفروض على الحياة السياسية و الاجتماعية ما جعله بعيد عن حزنه الشديد على شعبه المغلوب على أمره بقصيدته « دمعة حارّة على الأمة»و يتجه اتجاها رومانسيا ثوريا في سبيل تحرير شعبه من هذه القيود.

3 -آثاره:

01 بذور الحياة: و هي خواطر في الأدب و الاجتماع و السياسة و الثقافة.

02 الفتى: محاولة قصصية« و هي ترجمة شخصية للأديب بأسلوب قصصي».

03 قصائد شعرية: بلغت حوالي 25 قصيدة في مختلف المواضيع.

04 مجموعة مقالات : أدبية و اجتماعية موزعة في جرائد الشهاب و وادي ميزاب،ومن أهمها سلسلة مقالات بعنوان « حقيقة الشعر و فوائده »

4 - دعوته التجديدية:

لقد كانت الدعوة الصريحة و الجريئة للاحتكاك بأدب الغرب ،و التي صرّح بها رمضان حمّود تعبيرا عن اتجاهه الرومانسي في الشعر و ميله إلى التجديد و نبد

[1] محمّد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة،1963،ص255.

التقليد و الجمود حيث يقول: «....أنا لا أقصد بالترجمة الترجمة اللفظية و الاختلاس و المسخ، و قتل الأدب بالسيوف العجمية شر قتله....بتحطيم الأوضاع و القواعد الأساسية و البلاغة العربية و الامتيازات و الفروق التي بني عليها كل قوم... ولكن أقول و أكرر بكل حرية.أتفوه بما أعتقد...إن الأدب العربي مريض و مشرف على الهلاك إن لم يتداركه أبناؤه في عصر خالف تمام الاختلاف عصوره المتقدمة و هو يحتاج إلى دواء ناجع يوافق ملّته و مزاج طبيعته المنغمسة في جوه الحار... [1]».و هذا الدواء في نظره هو الاحتكاك بأدب الغرب وتطعيم الشعر بمذاهبه و لعلّ أبرز مذهب مال إليه شاعرنا هو المذهب الرومانسي و ما يبرز هذا هو تعريفاته المتعددة للشعر و التي تصبّ في نهر واحد هو العاطفة و الشعور حيث يقول: « الشعر وحي الضمير و إلهام الوجدان»، « الشعر تموّجات روحانية تخترق القلوب الحيّة»، « الشعر أنفس هديّة تقدمها الطبيعة الهادئة إلى القلوب الكبيرة »، « الشعر هو تلك الجاذبية الساحرة التي تجمع بين النخلة و زهرة الرّبيع الفاتحة أكمامها»[2]

فهذه التعريفات و ما نسجل فيها من تعابير كالضمير، الإلهام، الوجدان، الروحانية، القلوب الحيّة، الطبيعة الهادئة تتم عن توجه رومانسي يقدّس الشعور و العاطفة ، و شاعرنا متأثر بالناقد الفرنسي شابيلين حيث يقول: « إن الشعر هو النطق بالحقيقة ، تلك الحقيقة الشاعر بها القلب ، و الشاعر الصّادق قريب جدًّا من الوحي [3]»، فمعظم التعريفات التي أمطرنا بها رمضان حمود شبيهة بتلك التي قال بها رواد المذهب الرومانسي في الغرب و في المشرق العربي، و لذلك سنرصد بعض مظاهر الرومانسية في شعره منها:الطبيعة،الثورة، الحرية و الوطنية.

[1] حمود رمضان:بذور الحياة ، الشهاب ،1928، نقلا عن صالح خرفي : حمود رمضان الشاعر الثائر ص 75.

[2] المرجع نفسه ، ص ن.

[3] المرجع نفسه ، ص ن.

الفصل الثالث

الرومانسية بين الشابي و حمّود
أوجه التشابه و أوجه التباين

III. الفصل الثالث : الرومانسية بين الشابي و حمّود

- **مدخل**

1 - المبحث الأول: أوجه التشابه و أوجه التباين من حيث الموضوعات المتناولة

أ – الثورة

ب – القلب

ت – الدهر

ث – الطبيعة

ج – الطفولة و الأمومة

2 - المبحث الثاني: أوجه التشابه و أوجه التباين من حيث الظواهر الفنيّة

أ – المستوى المعجمي

ب – المستوى البلاغي

ت – المستوى الصوتي

الفصل الثالث: الرومانسية بين الشابي و حموّد

المبحث الأول: أوجه التشابه و أوجه الاختلاف من حيث الموضوعات المتناولة في شعرهما

تمهيد:

إن المطّلع على حياة الشابي و حمّود يقف على كثير من المؤثرات التي انعكست على فكرهما و توجههما، و خلقت تشابها في ردّة فعلهما من الحياة ، من الوجود، من المجتمع و من النّاس، فالبيئة السياسية و الثقافية و الاجتماعية التي تطرّقنا إليها في فصلنا الأول إنّما أدر جناه ا لنقف على بعض الأسباب التي جعلت من الشّابي و حمّود عنوانين لوجهة جديدة للشعر في المغرب العربي؛هذه الوجهة التي شدّتهما إليها و أغرقتهما بخيالها و عاطفتها، و ثورتها هي الوجهة الرّومانسية ، و لهذا ارتأينا أن نتطرّق في هذا الفصل إلى أوجه التشابه و الاختلاف بين هذين البلبلين الغرّيدين،من حيث الموضوعات المتناولة في شعرهما و من خلال الظواهر الفنية فيه، وهذا بالاعتماد على جدول ندرج فيه هذه الموضوعات من خلال تقسيمات الدكتور ايميل كبا لديوان أغاني الحياة للشابي ، و الذي سنعتمده في تصنيف قصائد رمضان حمّود:

الموضوعات حسب تقسيم ايميل كبا لديوان أغاني الحياة	أبو القاسم الشابي		رمضان حمّود
في التأملات	قيما و إنسانا	من حديث الشيوخ ، شكوى اليتيم ،حرم الأمومة، فلسفة الثعبان المقدس، أبناء الشيطان، المجد	في السجن،الرجل بنفسه،إليك أيها الرجل العظيم، أيها الناس اسمعوا و عوا، الله أكبر نجم العرب قد سطع، علام نلوم الدهر، الدهر كفيل بتنبيه المغرورين، شلت يد الجاني، الصراع النفسي ، القديم و الجديد، أقسام الناس

في التأملات	زمنا و أعمارا	من حديث الشيوخ ثانيا، غرفة من يم، الكآبة المجهولة، الدموع، أيها الليل، قبضة من ضباب، شجون، عشية الحياة، شكوى ضائعة ، الحياة.	
	نزوعا و صبرات	الحياة ثانيا، أغنية الأحزان،سر مع الدهر، دموع الألم ، المرساء الحزين، إلى الموت، إلى عازف أعمى ، صوت تائه، اكترت يا قلبي فماذا تروم، إلى الله، الأبد الصغير، الأشواق التائهة، فكرة الفنان، قلب الأم ، حديث المقبرة، في ظلال وادي الموت،السعادة صوت السماء، الرواية الغريبة، الصباح الجديد،زوبعة في ظلام، قلب الشاعر ،أغاني السكرى	علام نلوم الدهر، يا قلبي ، وحي الضمير، أهلا و سهلا بالنبي، همتي، شعري و شعوري و حديث ضميري، الفتى
في الحب و الحبيبة	في الحب	كهرباء الغرام، إياك صيحة الحب، أيها الحب،الحب ، إلى عذارى أفروديث، الجمال المنشود	
	في الحبيبة	الغزال الفاتن،ليلة عند الحبيب، وعود الغوافي، الفتنة الساحرة، الزنبقة	

		الذاوية،مأتم الحب، جدول الحب،الذكرى، رثاء فجر ،أنا أبكيك للحب،صلوات في هيكل الحب، أيتها الحالمة بين العواصف، ذكرى صباح الثاني، تحت الغصون	
في مناجاة الطبيعة		النجوى، جمال الحياة،أنشودة الرعد،بقايا الخريف،مناجاة عصفور، أحلام شاعر، من أغاني الرعاة،الغاب .	جمال الكون و بدائعه،شعري و شعوري وحديث ضميري .
في هم الأسرة و الحياة	هم الأسرة	يا موت، قيود الأحلام، أنسيم يهب، الاعتراف.	أغنية أم لوليدها،أغنية أم لابنها المسافر،أغنية أم لابنها العائد.
	الحياة	يا شعر، السآمة، الطفولة، إلى البلبل الأديب، أغنية الشاعر في فجاج الأيام، يا رفيقي نشيد الأسى، قلت للشعر،أغاني تائه، إلى قلبي التائه، الجنة الضائعة الساحرة، نشيد الجبار، قال قلبي للإله، الناس.	موت الغريب، آية في البؤس، أقسام الناس.
الحرية و النضال و الوطنية		خلّة الموت،تونس الجميلة ، الصيحة، نظرة في الحياة، زئير العاصفة، إلى الطاغية ،قالت الأيام ، يا ابن أمي، يا حماة الدين، النبي المجهول، سر النهوض للتاريخ،إلى	دمعة على الأمة، شعبي الكئيب ، نحو الأمام، حياة العز بلا ثمن ، نغمة الشباب، في سبيل الحق ، الحرية، اطلبوا العز و عيشوا كرماء ،الخيبة

	الشعب،إرادة الحياة،إلى طغاة العالم،ليت شعري الدنيا الميتة .	الكبرى، نعم الجدود و لكن بئس ما تركوا، إلى شبابنا المتنورين، وطني بالنفس تفدى، هل نهضت لقومي .

I. أوجه التشابه:

من خلال الجدول يمكننا أن نقف على جملة من المواضيع التي تلاقى فيها الشاعران :

1) **الثورة:** بشقيها الفكري و السياسي

أ - **الثورة الفكرية:** وقد تميزت هذه الثورة عند كليهما في إيراد موضوع الصراع بين القديم و الجديد ، بتقديم مفهوم جديد للشعر، حيث لم تكن العشرينات بالنسبة لشعراء المغرب العربي مجرّد رجع صدى لمدرسة الإحياء ، بل كان إلى جانبها إرهاص بتطلعات مبكرة لتجاوز التلقي إلى الإبداع الذاتي و التجاوب مع بعض الاتجاهات التي تصدّت لمدرسة الإحياء ، فظهرت أقلام تنتقد ظاهرة التقليد التي طبعت الإنتاج الشعري لهذه الفترة، حيث برز شاعران يتقدان ثورة ضد هذا العجز و هما الشابي و حمّود ، و كان الشبه في نظرتهما إلى الشعر و التقليد واضحا جدًّا، سواء في شعرهما أو من خلال آرائهما النقدية التي تتمثل في موقفهما الفكري و الفني المتحمّس للثقافة العصرية، مع تأثر واضح بالمدرسة الرومانسية التي تعتبر الشعر عملية تعبير و توصيل.و هي قناعة ذاتية فجّرتها عندهما الظروف المعاشة و الواقع، و لذلك كان الصراع بين القديم و الجديد من أبرز المواضيع التي غلبت على شعرهما؛ تمثلت في نظرتهما إلى الشعر و مفهومه، و الدعوة إلى التجديد، فتجد رمضان حمود يقول قاصدا الشعر: «... نعم هو أعلى منزلة من أن يتناوله هؤلاء النظّامون الماديون ، عبيد التقليد ، و أعداء الاختراع ، إذ لا يدرك كنهه إلاّ من له فكر ثاقب، و عقل صائب و ذوق سليم، حتى يقدر أن يستخرج ذره من صدفه، و سمينه من غثه و من ينبش دفائنه بغير هذه الآلات فقد حاول مستحيلا...[1] ».

هكذا حدّد رمضان حمود الأدوات الفكرية و المعرفية و الذوقية التي ينبغي على كل متمرّس بالشعر أن يهتم بها.

[1] صالح خرفي: حمود رمضان،د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب،1985،ص 97.

أمّا شاعرنا الشابي فيقول:« ... فالتصوير الصادق الذي يريك تصورات الشاعر أرقى من تصورات البشر، و التعبير الفني الجميل الذي يكون قالبا إنسانيا حيا ، لذلك المعنى الذي يشمله ذلك هو الذي ينبغي أن تبحث عنه كلما قرأت قصيدة أو رتّلت مقطوعا..فإن وجدته فكن على يقين أنّك إنّما تقرأ شعر الحياة،و أنت أخطأته،فاعلم أنّك تقرأ شعرا زائفا لا قيمة له...[1]» .

فالشاعران يتفقان في كون الشعر ذا منزلة رفيعة راقية لا يستطيع أن يصلها أيٌّ كان، ثم إن الشابي ختم مقالته الموسومة " بالشعر ماذا يجب أن يفهم منه؟ و ما هو مقياسه الصحيح يقول« ... إن هذا المقياس من شأنه أن يقضي عليك إن اتبعته، أن تلقي بكثير من أصنام الشعر و دواوين الشعراء إلى النار...»، «فلتأخذ هذا المقياس و لتكن مخلصا في استعماله، و أنا كفيل بأنك تكون قد حزت مقياسا دقيقا تعرف به كيف تفرّق بين شعر الحياة الخالد و بين شعر السخافات و التقاليد[2]».

فالشعر في نظر هذين الشاعرين الرومانسيين ليس مجرّد وزن و قافية بل هو حسّ مرهف و شعور صادق و خيال خصب[3].

و الشبه بينهما في تبني ثقافة عصرية واضح؛ فحمّود نعت المقلدين بالنظامين الماديين،عبيد التقاليد،و الشابي وصف الشعراء المقلدين بالأصنام الجامدة، و تبدو نزعتهما الرومانسية واضحة من خلال تصورهما لمفهوم الشعر حيث يقول رمضان حمود:

« الشعر تيار كهربائي مركزه الرّوح و هو خيال لطيف تقذفه النفس لا دخل للوزن و لا القافية في ماهيته و غاية أمرهما أنّها تحسينات لفظية اقتضاها الذوق و الجمال[4]».فالشاعر يشبّه الشعر بالتيار الكهربائي قصد إبراز قوّة الإحساس التي ينقل الشعر عدواها إلى القارئ، فتحدث هزّة في النفس و تحديده لمركز الشعر بأنه الرّوح إنّما يعنى به الوجدان و يؤكد قوله بمقطوعة شعرية حيث يقول: [5]

فقلت لهم لما تباروا بقولهم ألا فاعلموا أن الشعور هو الشعر

---

[1] أبو القاسم محمد كرو :الشابي حياته وشعره،ص 272.

[2] نفسه: ن ص.

[3] ينظر: عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث،ط1،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1981،ص 641.

[4] حمود رمضان:بذور الحياة،د ط،تونس،1928،ص 108.

[5] حمود رمضان:حقيقة الشعر و فوائده(الشهاب) مأخوذ عن أحمد شرفي الرفاعي:الشعر الوطني الجزائري،ص 162.

و ليس بتنميق و تزويق عارف فما الشعر إلا ما يحن له الصدر
فهذا خرير الماء شعر مرتّل و هذا غناء الحبّ ينش ده الطير
و هذا زئير الأسد تحمي عرينها و هذا صفير الريح ينطحه الصخر
ذاك هو الشعر الحقيق بعينه و إن لم يذق ه الجامد الميت الغر

و هذا الشابي يقول: « إنّ الشعر يا صاحبي، هو ما تسمعه و تبصره في ضجة الريح، و هدير البحار، و في بسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل و يرفرف فوقها الفراش، و في النغمة المغردة يرسلها الطائر في الفضا الفسيح و في دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار..[1]».

فمن خلال هذه التعريفات نلاحظ و نسجل بأن الألفاظ المستعملة متشابهة جدًّا { الريح، البحار، الماء، الطير،النهر} فهو معجم غني بالألفاظ المتشابه ة كأنها تنبع من فكر واحد ، حيث يكتنفها حسّ رومانسي رقيق يضع مقياسا جديدا للشعر بعيدا عن الجمود و التقليد

و هذه التعريفات تبرز تأثر كليهما بالمشارقة ، بميخائيل نعيمة خاصة حين يقول: «... هو غلبة النور على الظلمة و الحق على الباطل،هو ترنيمة البلبل و نوح الورق و خرير الماء و قصف الرّعد[2]».

فهذه المفاهيم كلّها في ارتباطها بالنزعة الرومانسية تبرز الصلة بين آراء الشابي و حمّود و ميخائيل نعيمة، تمثّلت في التعابير المتشابهة،في وحدة الرّأي في مفهوم الشعر، و صلته بعناصر الطبيعة كينابيع للشعور الصادق فكلهم ذكروا قصف الرّعد وخرير

الماء و الجدول و غناء الطير، و منه يمكن أن نخلص إلى نقاط التشابه بين حمّود و الشابي في الثورة الفكرية من خلال:

- مفهومهما للشعر:- بربطه بعناصر الطبيعة.
- و تحديده بالشعور الصادق.

حيث رأينا رمضان حمّود يقول:« فما الشعر إلاّ ما يحن له الصدر

و يتوافق معه الشابي فيقول : [3]

---

[1] أبو القاسم محمد كرو:الشابي حياته و شعره،ص 268.

[2] ميخائيل نعيمة : الشعر و الشعراء، مقال منشور بمجموعه الرابطة القلمية،دار صادر ، بيروت،لبنان،1964،ص 252.

[3] يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره،ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،2009،ص163.

شعري نفاثة صدري إن جاش فيه شعوري

و حمّود يقول:«ألا فاعلموا أن الشعور هو الشعر».

و الشابي يقول:« يا شعر أنت فم الشعور».

- تأثرهما بالمشارقة.

أمّا الصراع بين القديم و الجديد كموضوع متناول في الشعر فتجد حمّود رمضان يقول:

ألا جدّدوا عصرا منيرا لشعركم فسلسلة التقليد حطّمها العصر

و سيروا به نحو الكمال و رمّموا معالمه حتّى يصافحه البدر

فهذه دعوة صريحة إلى ضرورة التحرر من رتابة الماضي، و تفعيل عملية التجديد لتهيئة المناخ الملائم.

ونجده يقول أيضا في قصيدة عنوانها الصراع بين القديم و الجديد: [1]

فمن شاء أن يحيا على الناس مشرفا

يقدّم رجلا ثم يدبر عشرة

و يمضي على قتل الجديد من أصله

و منعزل عنهم يحب التصوفا

و إن سمع الأقدام زاد توقفا

و يرجع للعصر القديم و قد غفا

و تجد الشابي يقول: [2]

لا قلب يقتحم الحياة و لا حجى يسمو سموّ الطائر الجواب

بل في التراب الميت في حزن تنمو مشاعرهم مع الأعشاب الثرى

و تجد حمّود يقول : [3]

---

[1] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،مطبعة دار هومة،الجزائر،2008،ص 268.

[2] أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة،ص275.

[3] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص 260.

و كم من آخذ جاء يسعى يريد تأخري و يس يئ بالي
يقول مثبطا يميت عزمي إلى م و أنت تصرخ في الخوالي
فدع عنك النشيد وكن بليدا فإن الناس تائهة بمال

و تجد الشابي يقول:[1]

الشاعر الموهوب يهرق فنّه هدرا على الأقدام و الأعتاب
و العالم النحر ي ر ينفق عمره في فهم ألفاظ و درس كتاب
يحيا على رمم القديم المجتوى كالدّود في حمم الرماد الخالي

فكلاهما ثائر على القديم و يبحث عن الجديد:

ب – الثورة السياسية: وتتجلى في:

- **الشعب:** إن الخطاب الموجّه للشعب من طرف الشاعرين كان أكثره خطاب لوم و عتاب ، بسبب ما رسخ فيه من استسلام للجهل و العبودية و الجمود ، ونبذ العلم و الاستكانة للمستعمر،و لأن الشاعر الرومانسي بطبعه ثائر على الفساد و الظلم ، كان صوتهما متشابها إلى حدّ بعيد في وصف حال الشعب فكما يقول ايليا الحاوي: « و الشاعر وحده يهتدي إلى الحقيقة، إلى الفاجعة والشعب يتنكر لها و هدايته تعزله و تحيطه بالغربة... و الشاعر الكبير هو هكذا فعلا، وحده يواجه الألم و يدرك هول المصير...»[2].

و لهذا جاءت رومانسيتهم ا ثائرة محمّلة في شعر يتوجّه تارة توجّها إصلاحيا محاربا للجهل داعيا للحق، و تارة أخرى ثوريا مقاوما للاستعمار باحثا عن الحرية ، و كانت هذه المواضيع من أبرز نقاط التشابه بين الشاعرين فتجد الشابي يقول في قصيدة إرادة الحياة: [3]

إذا الشعب يوما أراد الحيا ه فلابدّ أن يستجيب القدر
و لابد لليل أن ينجلي ولابدّ للقيد أن ينكسر
إذا ما طمحت إلى غاية ركبت المنى و نسيت الحذر

و هذا حمود يقول: [4]

---

[1] أبو القاسم الشابي :ديوان أغاني الحياة ص275.

[2] ايليا الحاوي: أبو القاسم الشابي شاعر الحياة و الموت،ج1،، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1972،ص 70.

[3] أبو القاسم الشابي:ديوان أغاني الحياة،ص 240.

[4] محمد ناصر : حمود رمضان حياته و آثاره، ص 231.

نهوضا نهوضا بني جلدتي إلام و نحن بطي الخبر
إلام و في الأسر أرواحنا ونحيا هوانا حياة البقر
أنمسي ونصبح في حسرة وننسب ذاك الشقا للقدر
أراكم من الجهل في غفلة تظنون نيل المنى بالحذر .

فالملاحظ في المقطوعتين أنهما تحملان موضوعا واحدا، بنبرة واحدة ذات صور و معجم واحد،

و هاتين المقطوعتين كانتا محل اهتمام الدارسين حول من تأثر بمن؟ على اعتبار أن قصيدة حمّود وردت قبل قصيدة الشابي بخمس سنوات و أن قصيدة الشابي كانت أشدّ وقع و أكثر تأثير، و نفس النبرة الحزينة الثائرة نجدها عند الشاعرين حين يصفان حال شعبيهما فيقول الشابي: [1]

أيها الشعب أنت طفل صغير لاعب بالتراب و الليل مغس
أنت في الكون قوّة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس
أنت في الكون قوّة كبّلتها ظلمات العصور من أمس أمس

و هذا حمّود يقول: [2]

بكيت عليهم و الحشا متقطّع بكائي على طفل ضعيف العزائم
بكيت عليهم إذا رأيت حالهم مكدرة مملوءة بالعجائب
رضوا بحياة الذل و الجهل و عن العلم فرّوا و الحجى و المكارم الكرى

فالملاحظ أن الخطاب موجّه للشعب و كلاهما شبهه بالطفل الصغير لأنّه أصبح مجرد تابع لا يملك فكرا و وجدانا حرا.

- **الدعوة إلى الإصلاح و العلم و نبذ الجهل:**

لقد كان التوجه الإصلاحي بارزا في شعر الشاعرين ؛ تمثّل في محاربة الجهل و الدعوة إلى العلم ، ومما يلاحظ أن كلا الشاعرين لقي نفس الرّفض و الاتهام بالجنون و الطيش و التهوّر من طرف أفراد مجتمعيهما.وفي هذا الصدد نجد حمّود رمضان حين نهض و نادى بإصلاح

[1] أبو القاسم الشابي:ديوان أغاني الحياة، ص 151.
[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته وآثاره ،ص217.

المجتمع آنذاك، فامتنع أفراده و لم يسمعوه ، ووصفوه بشتّى صفات المروق و الانحلال، حيث قالوا:« لسنا نفقه كثيرا مما تقول ، فاذهب أنت و إصلاحك إلى أمّة غيرنا، أمّا نحن ففي بحبوحة من العيش لا نطلب منك إلاّ الصمت و عدم تكدير راحتنا ، إذ ما نال من سبقك لم يقل شيئا مما تقول أم أنّك وحدك شعرت و غيرك ميت الإحساس،اسكن ففي السكون راحة [1]».

يرد في قصيدة موسومة بالخيبة الكبرى فيقول: [2]

دعوت قومي إلى الإصلاح فامتنعوا و قد دروا أنّه الحق فما خضعوا

لا ينصتون لقول جاء معتبرا لأنهم في مروج الكبر قد رتعوا

كررت قولي مرارا غير مقتنع بخطبة أو بشعر أو بما يسع

و لا وسيلة جئت أعرضها عليهم ، كي تنجيهم إذا فزعوا

فظن جهل بأني لست صادقهم فما أفادهم قولي و لا اعتبروا .

وغير بعيد عنه نجد معاصره الشابي يعيش نفس الأوضاع بكلّ تفاصيلها فدعوته إلى الإرشاد و الإصلاح لاقت الكثير من الرّفض و الاستهتار حيث رأوا دعوته هذه ضربا من الجنون و لذلك تراه يقول في قصيدته " تونس الجميلة":[3]

كلّما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه يريد صلاحه

أخمدوا صوته الإلهي بالعسف أماتوا صداحه و نواحه

و يقول حمّود :

و إن قام يدعو للصلاح فإنّه يرى ما يراه المجرمون تعسفا

ثم تجد الشابي يقول في قصيدة النبي المجهول معبّراً عن غضبه و سخطه على المجتمع الرّافض للإصلاح ب:

هكذا قال شاعر، ناول النّاس رحيق الحياة في خير كأس

فأشادوا عنها، و مرّوا غضابا و استخفّوا به وقالوا بيأس

---

[1] الأخضر بن هدوقة:دراسات أدبية، الشاعر و الناقد الجزائري حمّود رمضان ،منتدى قسم الأدب و العلوم الانسانية، المعهد المغربي للإعلام العلمي و التقني ،2009/04/30.

[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره،ص 257.

[3] أبو القاسم الشابي:ديوان أغاني الحياة، ص 24.

قد أضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه أصيب بمس

أطردوه و لا تصيخوا إليه فهو روح شريرة ذات نحس؟ [1]

ويواصل قائلا:

هكذا قال شاعر فيلسوف عاش في شعبه الغبي بتعس

فهو في مذهب الحياة نبي و هو في شعبه مصاب بمس

ومن أوجه الشبه التي ألقت بظلالها على شعر الشاعرين و ربطت توجههما الإصلاحي ، الدعوة إلى العلم و التي تناولها الشاعران بكثرة منها قول رمضان حمّود: [1]

فمزّقوا الجهل و انجوا من مخالبه فالجهل بالعلم و التفكير ينقطع

فحيثما كنتم فولوا وجوهكم وجهدكم شطر شمس العلم و اندفعوا

و يقول الشابي في قصيدته الصيحة: [2]

نبذتم العلم نبد النوى

قلى و صغارا

لبستم الجهل ثوبا

اتخذتموه شعارا

يا قوم مالي أراكم

قطنتم الجهل دارا؟

- **الدعوة إلى الحق و الحريّة:**

لقد تبلورت الدعوة إلى الحق في تقاطع الشاعرين في كونه سبيلا من سبل الحريّة و العيش الكريم ، و الحفاظ على الهويّة و الدين و يتجلى لنا ذلك في قول حمّود: [3]

في سبيل الله و الح ق ندائي و فعالي

في سبيل الدين و الشع ب هيامي و غرامي

---

[1] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره،ص 256.

[2] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص 29.

[3] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره، ص 232.

و يقول أيضا في قصيدة أخرى: [1]

أقول الحقّ جهرا لا أبالي و إن سخط الجميع من المقال
أسير إلى الأمام ليحس إذا بدا وجه المآل
فيتّبع من أراد طريق حق و يهفو من أراد إلى الضلال

كما تجد شاعرنا الشابي ينجذب إلى قوّة الحقّ في قصيدة إلى الطاغية حين يقول: [2]

ولعلعة الحقّ الغضوب لها صدى و دمدمة الحرب الضروس لها فم
إذا التف حول الحق قوم فانه يصرّم أحداث الزمان و يبرم
ألا إن أحلام البلاد دفينة تجمجم ما في أعماقها ما تجمجم

أمّا الحريّة فقد استلهمت من الرمزية سلاحا لها فتراءت لنا في صورة حبيب و اتخذت العاطفة لباسا لها تارة و صورة من صور الطبيعة تارة أخرى. و في بحبوحة هذه الرمزية تنفّس الشاعر الصعداء و أطال نفسه في بثّ الشوق و الحنين و أفاض في التشكي من الهجر

و الحرمان و يتجلّى ذلك في قصيدة رمضان حمّود المعنونة بالحرّية: [3]

لا تلمني في حبها و هواها لست أختار ما حييت سواها
هي عيني و مهجتي و ضميري إن روحي و ما غليها فداها
قيّدتني و خلقتني أسيرا في يد الوجد محرّقا بلظاها
أيها الطائر المحلّق فوقي هل أجد فيك حكمة و انتباها
قل لها ما شهدت مني جميعا فعساها ترثي لحالي عساها

و تتجلى لنا الصورة الرّوحية للحرية في صور الطبيعة عند شاعرنا الشابي في كونها السعادة الحقه« فإذا كان رق الإنسان للجاه و القدر محتم بقدر مبرم لا قبل له بدفعه فإن رق الإنسان للإنسان هو من صنع يديه قادر على دفعه و منعه»[4] فيقول الشابي: [5]

خلقت طليقا كطيف النسيم

---

[1] نفسه، ص 259.

[2] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص64.

[3] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره، ص 239.

[4] إيليا الحاوي : الشابي شاعر الموت و الحياة ،ج 2، ص 42-43.

[5] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص 130.

و حرا كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير أين اندفعت
و تشدو بما شاء وحي الإله

- **الدعوة إلى المجد:**

لقد تلاقى الشابي مع قرينه رمضان حمّود في الدعوة إلى النهوض بالأمة بحثا عن مجدها الضائع، والابتعاد عن الجمود وكسر كل القيود بالمحافظة على منابع الحق التي دعا إليها الدين الإسلامي، ومجدتها الثقافة والحضارة العربية الإسلامية و التي صنع بها المسلمون المجد وبلغوا به أعلى المراتب ،فكانت دعواهما لأن يكون أفراد مجتمعيهما خير خلف لخير سلف بتذكيرهم بما كان عليه الجدود من عز ومكرمة ، فترى حمود يصيح في أمته قائلا في قصيدته نعم الجدود و لكن بئس ما تركوا:[1]

أيها العرب مالكم في سبات أ كذا الدين أم كدا الإسلام
وقديما رأيتم لذل كفرا إن أمرتم فما عليكم سلام
سقط الخصم تحتكم من أمور يشيب منها العلام مستريحا
وحكمتم بين الأنام بعدل إذ علمتم أن الصغار ظلام

ويختتم قائلا :

خلد الخلق بعدهم لهوان ضيعوا الملك في الجهالة هاموا
ورثوا المجد من جدود كرام ثم خانوا العهود وهي ذمام
عيروا الدين ثم قالوا حلال ما أردنا ، وذاك هو الحرام

ومثله لعلع صوت الشابي في أمته لائما فيهم صغارهم وذلهم وجهلهم فيقول :[2]

يا قوم ما لي أراكم قطنتم الجهل دارا
أضعتم مجد قوم شادوا الحياة فخارا
ابقوا سماء المعالي بما أضاءوا منارا
حاكوا لكم ثوب عز خلعتموه احتقارا

[1] المرجع السابق ، ن ص.

[2] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص 29.

ثم ارتديتم لبوس خزي وعارا

ومن الموضوعات التي تشابه فيها الشاعران نجد موضوع الصراع النفسي الذي حمل في طياته عدّة مواضيع منها:

❖ **القلب:** من طبيعة الشاعر الرومانسي البحث عن المثالية فلطالما اعتبر الرومانسيون العقل في ميدان الفن معارضا للخيال و الإلهام الحر[1] فهم بذلك يجحدون سلطان العقل و يتوّجون مكانه العاطفة و الشعور و تسليم القيادة إلى القلب، الذي هو منبع الإلهام و الهادي الذي لا يخطئ.لأنّه موطن الشعور و مكان الضمير، و من هنا توجّه الشابي و وافقه حمّود في كون القلب محلّ الشعور بالشعر ، فكان بمثابة بوتقة انصهر فيها حزن الشابي و كآبته و ألم حمّود و سآمته في رحلة البحث عن هذه المثالية .حيث يشير محمد ناصر إلى أن حساسية الشاعرين المرهفة ، و عذابهما مصدر الصراع النفسي الذي تمزّق فيه قلباهما بين اليأس و الأمل[2] ، فكانت لفظة القلب واردة كثيرا في قاموس الشابي و حمّود تمثّلت في ذلك الخطاب الموجّه إليه و المفعم بالكآبة و الحزن فهذا حمّود يقول مخاطبا قلبه: [3]

أنت يا قلبي فريد في الألم و الأحزان

و نصيبك في هذه الدنيا الخيبة و الحرمان

و يقول الشابي:[4]

أنت يا قلبي قلب أنضجته الزفرات

و يقول أيضا:

مال آفاقك يا قلبي سودا حالكات

ويواصل حمّود قائلا:[5]

أنت يا قلبي تشكو هموما كبارا و غير كبار

أنت يا قلبي مكلوم و دمك يبعث به الدهر الجبار

---

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث،ص 85.

[2] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره،ص 97.

[3] نفسه، ص 246.

[4] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص 135.

[5] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص 246.

و يواصل الشابي قائلا: [1]

يا قلبي الدامي،إلام الوجوم؟
مالك لا تصغي لغير الأسى؟
مالك لا ترنو لغير الكلوم؟

❖ الدّهر: لقد كانت صورة الدهر عند الشاعرين ذات وجهين ، فتارة يريانها بنظرة واقعية راضية بما جرت عليه سنة الحياة من أضداد ، فتجد الشابي يقول: [2]

هكذا الدهر بأزياء غدو و رواح
و ضياء و ظلام و سكون و صياح
و نشيد و فواح و انقباض و انشراح
إنّما هو الدهر ميثا ق الليالي كشجاح

و يقول حمّود: [3]

علام نلوم الدهر و الله عادل و ننسب للأيام ما هو باطل
فلن يظلم الله العباد بحكمه و لكن الكفر للمرء قاتل

وتارة يريانه من منظورهما الرّوحي انطلاقا من فجيعة نفسيهما فملازمة الخيانـــــــة و القساوة للفظة الدهر مثلت في تلك النظرة التشاؤمية التي كانت مرتبطة بالقضاء و القدر أكثر شيء و التي ولّدت عندهما ذلك الإحساس بالغربة و العجز عن التغيير و الشعور بالاضطهاد فقد كان سخط الشاعرين واضحا وقد تجلّى هذا في شعرهما حيث يقول الشابي: [4]

هكذا سنّة الحياة، ونفسي لا تروم الرّحيق في كأس رجس
ملئ الدهر بالخداع ،فكم ضلّل الناس عن إمام وقسّ
ضاع أمسي ، وأين أمسي وقضى الدهر أن أعيش بيأس

---

[1] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص 137.
[2] نفسه،ص 33.
[3] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص240.
[4] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص77.

و هذا حمّود يقول: [1]

قد خانني دهري و تلك سجيّة للدهر ،مثل سجيّة الأشرار
هو دائما لي عابس متنكر حتّى الطبيعة حسنها متوار .

و في خضم المواضيع التي تحمل صبغة رومانسية حالمة نجد أنّ الشاعرين قد تطرّقا إلى موضوعين مهمين كان لهما الوزن الثقيل في البوح بشخصيتهما و ما تحمله من رهافة حسّ و رقّة شعور تمثلا في الطبيعة و الأمومة و الطفولة.

✓ الطبيعة:

لطالما كان الرومانسيون ينتمون إلى عالمهم السماوي الحالم ،و تجلّى ذلك عندهم في اعتزال ساح الحياة الممسوخة و الارتماء بين أحضان الطبيعة؛ و هذا ما لمسناه عند شاعرينا الشابي و حمّود من خلال أشعارهما في مناجاة الطبيعة باعتبارها ملاذا قدسّيا من دنيا الهموم و المتاعب ، فهذا الشابي يقول: [2]

في الغاب ،في الجبل البعيد عن الورى
حيث الطبيعة و الجمال السامي
تمشي حواليه الحياة كأنّها
الحلم الجميل دقيقة الأقدام .

و يقول حمّود: [3]

لله ما أبهى الطبيعة إنّها
ملكت على مشاعر الوجدان
انظر إلى الكون البديع بنوره
و ظلامه و سكونه الروحاني

كما نجد أن الشاعرين يتفقان في رؤية الطبيعة مستوحاة من هدي الإنسان و طريقه الصحيح فهذا حمّود يقول: [4]

---

[1] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص246.

[2] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص173.

[3] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص234.

[4] المرجع السابق، ص234.

هذه الطبيعة نورها يهدي الورى

كالكهرباء لمن له عينان .

و هذا الشابي يقول: [1]

واجعل شعورك في الطبيعة قائد ا فهو الخير بتيهها المسحور .

كما اتّفقا أيضا في نظرتهما العاطفية للطبيعة ، حيث تمثّلت لهما في صورة الحبيبة التي تغزّلا بمفاتنها و جمالها فتجد الشابي في مقطع من قصيدة الصباح الجميل يقول: [2]

قدّس الله ذكره من صباح ساحر في ظلال غاب جميل

يا شعور تميد في الغاب بالريحان و النّور، و النّسيم البليل

كبليني بهاته الخصال المرخاة في فتنة الدلال المدلول

و يعلي رمضان حمّود حبّه للطبيعة فيقول: [3]

ناجيتها ،فعرفتها، أحببتها و الحب ّأقصى بغية الإنسان

إني لأشعر و الهوى بجوانبي يغلي بها كالنّار في البركان

عقلي و روحي و الفؤاد لأجلها نام نقي،دائم الخفقان

✓ **الطفولة و الأمومة:**

لقد كان حسّ الطفولة و الأمومة مكتنزا بكل ألوانه و صوره في نفس الشاعرين ، ماثلا في شعرهما ، سواء بالعودة إلى الواقع القديم المتصل بزمنهما كما نلاحظ عند الشابي، أو بتصوير قدسيّة الأمومة عندهما فالطفل بما يمثّله من معاني الدهشة و البراءة و الطهر و الألفة، كان عالما جميلا و عنوانا للسعادة يحنّ إليها الشاعر ، فهذا الشابي يقول حالما: [4]

لله ما أحلى الطفولة إنّها حلم الحياة

عهد كمعسول الرؤى مابين أجنحة السبات

---

[1] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص191.

[2] نفسه،ص 230.

[3] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص234.

[4] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص90.

ومن منظور آخر يربط الطفولة بالطبيعة لأن الطفل يراها ملعبا فسيح الأرجاء " فهو يجسّد حلم الفنان في العودة إلى زمن الغضارة و الحرّية اللامحدود" [1] و هكذا كان الشابي إذ يقول : [2]

قد كنت في زمن الطفولة و السذاجة و الطهور

أحيا كما تحيا البلابل و الجداول و الزهور

أمّا حس الأمومة فقد تعزز عندهما بشعر يقدس حرم الأمومة و يجله فهذا الشابي يجسّد أجمل صورة للعاطفة و الحنان فيقول: [3]

الأم تلثم طفلها و تضمه حرم سماوي الجمال مقدس

تتأله الأفكار و هي جواره و تعود طاهرة هناك الأنفس

و هذا حمّود يجسّد تلك الصورة أيضا فيقول: [4]

يا بني عش بين الأنام عزيزا لك روحي و مهجتي و فؤادي

بصدري أضمّ جسمك حبّا ستضم الفخار بين العباد

II. أوجه الاختلاف:

- لقد تمثّلت أوجه الاختلاف من حيث الموضوعات المتناولة بين الشاعرين فيما يلي:

✓ الشابي غزير الإنتاج حيث بلغ عدد قصائده 109 قصيدة جمعها في ديوانه أغاني الحياة بينما حمّود فلديه 35 قصيدة جمعها له محمد ناصر في كتابه رمضان حمّود حياته و آثاره.

✓ لقد أكثر الشابي من الغزل و التغزل بالحبيبة و لديه 25 قصيدة كلها في هذا الموضوع لكنّه سما بها الى نظرة صوفيّة روحيّة و هو القائل في كتابه الخيال الشعري عند العرب « ... فإنّ نظرة الادب العربي الى المرأة نظرة دنيئة سافلة منحطّة الى اقصى قرار من المادة ، لا تفهم من المرأة الاّ أنّها جسد يُشتهى و متعة من متع العيش الدنيء أما

[1] عثمان حشلاف: الصورة و الرّمز في الشعر العربي بأقطار المغرب العربي، مخطوط دكتوراه، الجزائر،1992، ص 19

[2] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص217.

[3] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة،ص217.

[4] محمد ناصر: حمود رمضان حياته و آثاره، ص252.

تلك النظرة السامية التي يزدوج بها الحبّ بالإجلال و الشغف بالعبادة الرّوحية التي نجدها عند الشعراء الآريين فإنّها منعدمة بتاتا[1].» بينما نجد عند حمود بعض القصائد في الغزل و لكنّها رمزية فتارة يتغزل بالطبيعة و تارة بالحرّية و تارة بالوطن.

- ✓ الشابي أغرق في إلباس أشعاره كل عناصر الطبيعة بجمالها و سحرها ، نورها و ظلامها ، هدوئها و صخبها بينما كانت قصيدة وحيدة لحمّود جمع فيها جمال الكون الفسيح و كثيرا ما كان الشابي يتوجه بالخطاب إلى عناصر الطبيعة مثل يا ليل، مناجاة ، عصفور، الصباح الجديد، بينما لا نجد هذا عند حمّود.
- ✓ و إذا توجّهنا إلى موضوع القلب وجدنا رمضان حمّود بقصيدة واحدة لملمت كل ما يختلج بصدره من صراعات نفسية كان لمرضه فيها ذلك الأثر الملموس في حين أثقل الشابي هذا الموضوع بأربعة قصائد جمع فيها آلامه و أحزانه بأسلوب يرينا فيه براعة التعبير رغم الألم الذي عاناه بسبب إصابته بمرض تضخم القلب.
- و نشير إلى أن أكبر قدر من أوجه الاختلاف كان يبرز في الظواهر الفنية من خلال استعمال اللفظ و العبارات و الصور الفنية أو الشعرية و الأسلوب و التي سنكون بصدد تقديم شرح كاف لها نعرضها في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: من حيث الظواهر الفنية

1. المستوى المعجمي :

« إنّ لكل خطاب معجمه الخاص،إذ للشعر الصوفي معجمه و للمدحي معجمه....فالمعجم لهذا وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب و بين لغات الشعراء و العصور، و لكن هذا المعجم يكون منتقى من كلمات يرى الدّارس أنّها هي مفاتيح النص أو محاوره التي يدور عليها[2]».

و لهذا سنحاول الوقوف على المادّة المعجمية التي ميّزت شعر الشاعرين لنقف على التشابه و الاختلاف بينهما من حيث استخدا م الألفاظ على اعتبار أنّ المعجم يحتل مركزا هاما في أي خطاب و هذا بالاعتماد على جدول سنحاول من خلاله

[1] أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب،ص 45.

[2] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، المركز الثقافي العربي،1985، ص 59.

التقاط هذه المادة من مجموعة نصوص اخترناها لنعرّج على كيفية تعامل الشاعرين مع اللغة في المستوى المعجمي و طبيعة المفردات المستخدمة و إلى أي حد كان الشبه بينهما؟ و ما هو الاختلاف؟

القصيدة	الشاعر	اللّفـــــــظ
		المادة المعجمية
إرادة الحياة	**أبو القاسم الشابي**	الشعب، الحياة ، الإرادة، القدر، الليل، القيد،الاندثار، العدم، الريح، الجبال، الشجر، الطموح، الغابة، المنى، الحذر، الخوف، الشعاب ، اللّهب، الحفر، الدهر، القلب، الشباب، الرعد، المطر، الأرض، البشر، الحجر، الزهر، الموت، النحل ، الخريف، الأسى، النجوم، الحزن، الدجى، الظلام، الشتاء، الغصون، الثمر، السبيل، الثلج، الضباب، الربيع، الحلم، الجمال.
نغمة الشباب	**رمضان حمّود**	النّهوض، الأسر، الرّوح، الهوى، البقر، الصبح، المساء، الشقا، القدر، الذّلة،الحشو،الخوف، السكون، الحجر،الصبر، العز، الجهل، المنى، الحذر، الشعب، الحفر، الحزن، العلم، الدّهر، البرق، الفجر، النور، الدماء، الحظ، الرّجاء ، الحياة، الموت.
السّآمة	**أبو القاسم الشابي**	السأم،الحياة، الفجر، الشباب، الليل،الأوجاع،الرّحيق، الأسى، الجحيم، العذاب، الدموع، الأنين ،الأماني، الألحان، الظلام، السراب ، البأس، الكآبة، الوحدة، الألم، الانتحاب، الربيع، الجمال، العبير، الردى.
وحي الضّمير	**رمضان حمّود**	السأم،الحياة، الشباب، العيش، الدّهر، النّحس،السعادة، السراب، الفؤاد، الالتهاب،الشكوى، النّجوم، الظلمة، الليل، الهموم، الصعاب،النواح، الجهل ،الشقا.
الغاب	**أبو القاسم الشابي**	الحياة،الشذى، الظل، الأضواء، النعام، الحب، الإلهام،الغاب، الجمال، الملائكة، السكون ، السمو،

		الجداول، الغناء، الحلم، الأوراق، الجبروت، السماء، المشاعر،الأسى، الألم، السقم ، الشباب، التفكير،الكائنات،الحنان، الكون، الطبيعة، الوجود، القلب،الكآبة، المعبد، الجمال، النور، الشعور، النّار ، الروح، الحزن، الخيال.
جمال الكون	**رمضان حمّود**	الطبيعة، المشاعر،الوجدان،المهد، الجمال، الحب، الهوى، النّار، الروح،العقل، الفؤاد،الكون، النّور، الظلام، السكون، النسيم، الهبوب، الحياة، المياه، الخرير، السحاب، السماء، الخيال ، الرحمان، الحياة، الريحان، الجدول، الشمس، الشروق، الكآبة،الحزن، الظلام، الظمأ، العقل، التفكير.

من خلال استخراجنا للمادة المعجمية من هذه المختارات ، توصّلنا إلى تصنيف الألفاظ في حقول دلالية استوحيناها من طبيعة هذه الألفاظ و هي:

❖ **حقل الطبيعة:**

أ **قصائد الشابي:** الليل، الرّوح، الجبال، الشجر، الشعاب، الرّعد، المطر، الأرض، الزهر، الخريف، النجوم، الثمر، الثلوج، الرّبيع، الفجر، الرّحيق، الظلام ، العبير، الشذى، الظل، الغاب، الجداول، الأوراق، الكون، الطبيعة، العواصف.

ب **قصائد حمّود:** البقر، الفجر، البرق، الظلمة، الليل، النجم، الطبيعة، النار ، الكون، الخرير، السهول، الريحان، الجداول، الشمس، الشروق، الإمساء ، المياه.

ومن خلال استقراء هذا الحقل يمكن أن نخرج بمجموعة من الملاحظات:

✓ أن الشاعرين يستلهمان عناصر الطبيعة ليجعلا منها رمزا لما يشعران به و أنّ الشابي يغرق في استعمال الألفاظ ذات البعد الرومانسي الحالم فلو عدنا إليه لوجدناه أخذ النصيب الأوفى فجر، ليل، صباح، ، غابة، نهر، عصفور، ضلال، أزهار، غيوم[1]، بينما كان رمضان حمّود يستخدمها لكن لا يكثر منها.

[1] عبد اللطيف شرارة: محمد شفيق البيطار(صورة الطبيعة في شعر الشابي)مجلة جامعة دمشق، مجلد 24، عدد 3 و 4 ، 2008، ص 24.

✓ لاحظنا من خلال قصيدتي" السآمة و وحي الضمير" أنّ الشاعرين بالرغم من أنّهما يتحدثان عن حزنهما إلاّ أنهما يدخلان عناصر الطبيعة، التي فيها فرح و سعادة،كالنجم، الفجر، الربيع، و هي ألفاظ يستخدمها الرّومانسيون كرمز للتعبير عن الارتياح فكلاهما يتّفق في كون الحياة رغم ما فيها من ألم و حزن إلاّ أنّ هناك دائما بارقة أمل للانشراح و الطمأنينة حالها حال الطبيعة ، فكما فيها من ليل و ظلام فيها نور و صباح.

✓ أنّ الشاعرين يهيمان في الطبيعة متوحدان معها فتارة يريانها جميلة هادئة مشرقة و تارة عابسة غاضبة و هذا ينطبق على روحيهما الثائرة.

❖ **الحقل النفسي الوجودي:**

أ **قصائد الشابي:** الشعب، الحياة، الإرادة، القدر، القيد، الاندثار، العدم، الطموح، المنى، الحذر، الخوف، الدهر، القلب، الشباب، الأسى، الحزن، الحلم، الجمال، السأم ، الأوجاع ، الجحيم، العذاب، الدموع، الأماني ،السراب، الكآبة ، النّحس، السعادة، الجهل، الشقا، الإلهام ، الخيال، التفكير، الحزن، الشعور ، الحب، النار، الرّوح.

ب **قصائد حمّود:** النّهوض، الأسر، الروح ، الحسرة، الشقا ، القدر ، الذل ، الخوف ، السكون، الصبر، الجهل، المنى، الحذر، الشعب، الدّهر، الحظ، الرجاء، الالتهاب، الشكوى، الظلمة، الليل، النواح ، المشاعر، الوجدان، المهد ، الجمال، الحب، النور، الخيال، الحزن، التفكير.

✓ **الألفاظ المتشابهة:**

الشعب، الحياة، القدر، المنى، الحذر، الخوف، السأم، الشباب، الخيال، المشاعر، الحب، الجمال، التفكير، الحزن.

✓ **الألفاظ التي تؤدي الدلالة نفسها:**

النهوض=الطموح، الحلم=الرجاء، القيد= الأسر، الجحيم= الالتهاب، النواح=الانتحاب، المهد=الرّوح، الإلهام=الخيال، الشعور= الوجدان.

و من خلال استقرائنا للحقل الوجودي و النّفسي نخلص إلى مجموعة من الملاحظات:

1. الشاعران يتفقان في سجل الوجود و النّفس إما باستعمالهما نفس الألفاظ أو الألفاظ التي تؤدي نفس الدلالة ، مما يدل على مرورهما بحالة شعورية متشابهة تمثلت في البحث عن الحياة الكريمة و نبذ الأسر و الذل وحبّ المواجهة و الطموح إلا العلا.

2. نلاحظ من خلال قصيدتي " السآمة ووحي الضمير" أن كلا الشاعرين استخدم الألفاظ(السأم ، الحياة، الشباب) و هذا إنّما يدل على الشبه الكبير في نظرتهما للحياة بمنظار مظلم ،من منطلق أن كلاهما أصيب بمرض خطير و هو في ريعان الشباب و عاصر محنة وطنية أليمة فالمعجم الخاص بألفاظ الألم و الأسى، يبدو جلّيا نحو : الحزن، الألم ، الدموع ، الأوجاع ، الليل...

3. أنّهما يريان الطبيعة المهد الأول للوجود الذي ترعرع فيه الإنسان ، ففيها الجمال و الحب ورونق الحياة، و هي مدعاة للتفكير ومبعث على الرّاحة و السكون ، وهذه النظرة إنّما انبثقت من روحهما الرّومانسية التي ترى في الطبيعة الأم الثانية و تبحث عن الجمال الذي تتمناه.

4.أما الملاحظة الشاملة التي يمكن أن نقف عليها من خلال تجميعنا للمادة المعجمية الأساسية لشاعرينا من خلال ثلاث قصائد ذات مواضيع مختلقة (الطبيعة، الكآبة، الثورة) هو ذلك الشبه بينهما في :

- مسحة الحزن التي لوّنت شعرهما و هذا يتماشى مع التفجّع الرومانسي المسترسل بالغنائية الحزينة.
- تكرر لفظة الحياة، الحزن، الشعب ، الحّب ،عند كليهما.
- ألفاظ ذات قوّة موحية تبرز تلك القوة الغربية التي أججت عندهما الرّغبة في الحياة و اقتحام معتركها باندفاع كبير رغم العراقيل فكتب الشابي" نشيد الجبّار" و كتب حمّود"همّتي".

و تبدو هذه القوّة من خلال ألفاظ : البذور ، الثمر، الجبال، الحياة، الإرادة، الطموح، الحلم، الجمال، النهوض، العز، الفجر

-أما الاختلاف فيكمن في صوغ هذه الألفاظ ووضعها في قالب و لبنات العمل الفنّي الجميل، فالشابي كان يخرج بالألفاظ من لغة القاموس إلى لغة الشعر بانتقاء ألفاظ بسيطة لكنّها عذبة شفافة قوّية موحية مثل(الربيع ، الظلام ، الرعود) ورغم بساطتها فهي تؤدي المعنى الذي يريده بالإضافة إلى جمالية وقعها لدى القارئ فحين يقول:[1]

و من لا يعانقه شوق الحياة= تبخّر في جوّها ، و اندثر

[1] أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة، ص 240.

فلفظة " تبخر' لفظة بسيطة لكنه أعطاها بعدا جديدا و دلالة قويّة لما ربطها بالحياة، لكي يوصل فكرة العزم و الطموح.

كما تميّزت ألفاظه بالتصوير الإيحائي و التمثيل مثل:[1]

و دمدت الريح بين الفجاج وفوق الجبال و تحت الشجر

و أطرقت، أصغ ي لقصف الرعود و عزف الرياح ، ووقع المطر

فالأفعال دمدمت، عزف، وقع، أفعال فيها حركة .

أمّا إذا عدنا إلى شاعرنا حمّود فإننا لا نجد مثل هذه الألفاظ المتحركة، فألفاظ التصوير بلغت عند الشابي مبلغا كبيرا حيث تجده يقول:[2]

إذا ما طمحت إلى غاية لبست المنى و خلعت الحذر

فهو يعطي للفظة المنى و الحذر صفة الثوب، ليجعل الإنسان هو المتحكم في طريقة حياته بينما حافظت هذه اللفظة عند حمّود على دلالتها العادية دون أي إيحاء أو تصوير و ذلك حين يقول:[3]

أراكم من الجهل في غفلة تظنّون نيل المنى بالحذر

كما أنّ الشابي يتلاعب في الألفاظ و يجلجل معانيها على عكس حمّود الذي يحافظ على اللفظ كما هو فمثلا يقول حمود:

أنمسي و نصبح في ذلة و نلزم خوفا سكون الحجر

حيث أعطى للحجر صفة أصلية فيه هي السكون بينما الشابي ألبس الحجر ثوب الحياة ليعبر عن السكون و ذلك عندما يقول:

و ألعن من لا يماشي الزمان و يقنع بالعيش، عيش الحجر

كذلك لفظة الانتحاب و النواح فحمّود لما صاغ لفظة ينوح صاغها مباشرة دون ترميز فقال:[4]

ينوح على مجد قوم مضوا ليرفع كما يروم النقاب

---

[1] نفسه،ن ص.

[2] المرجع السابق، ص 240.

[3] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره، ص 231.

[4] نفسه،ص 248.

أمّا الشابي فأعطى للانتحاب بعدا رمزيا و جمالا لغويا حيث تبلور استخدام هذا اللفظ بتحول دلالته من حزن ونحيب إلى شدو و غناء فالشدو لطالما تعلق بالفرح و السرور و هو ربطها بالحزن و ذلك عندما يقول:[1]

كئيب،وحيد بآلامه و أحلامه ،شدوه الانتحاب

فهذا التضاد في استعمال الألفاظ هو مفتاح الإلهام الشعري لأنه يعقد الجسر بين اللفظ و الوجدان.

2. المستوى البلاغي:

❖ الصورة الشعرية:

إنّ أهمّ « خاصيّة يقوم عليها الشعر الرومانسي هي خاصية الرؤيا حيث تمّحي الحدود بين ما هو شاخص في الحسّ و ما هو قائم في النفس، إذ اكتظت نفوس الرومانسيين بالأحلام و الأماني و الأخيلة و غلبت حمّى الانفعال على أشعارهم لذا امتازوا عن سواهم بالقدرة الفائقة على التصوير[2]» ، ولذلك وجّه الشعراء الرّومانسيون اهتمامهم إلى الصورة الشعرية باعتبارها روح النّص و قلبه النّابض بالحيوية و الفاعلية الفنّية، بإدخالها النّص إلى صلب الواقع بل إلى أعماقه بتصوير التناقضات التي تصطدم داخله ، وهذا هو المغزى و الهدف الذي يبحث عنه الرومانسيون أمثال الشابي و حمود ، و بتتبعنا للصورة الشعرية عندهما حاولنا أن نقف على طريقة استخدام كل منهما لهذا الفن الجميل فالشابي كانت الصورة الشعرية عنده قويّة و كثيرة ؛إذ لا تمرّ عليك قصيدة إلا و فيها جمالية إيقاع هذه الصورة حيث اعتمد فيها على التشخيص و الحركة باثّا فيها خياله المجنّح ، يقول إيليا الحاوي: « يبدو أن الشابي كمعظم الرومانسيين ، يعانق معاني الأشياء بالحلم و الرؤيا و السراب و الوهم، ينفعل ويتولّى خياله إظهار انفعالاته موحدّا بين الشيء و ما يماثله... [3]».فالصورة الحركية عنده تحيا بالخيال المجنّح ، فتسيّر الجماد و توقف الحياة، و تشخّص المجرّد و تنطق الصامت،حيث يجعل طرفا من طرفي الصورة فعلا إنسانيا أو صفة إنسانية و كثيرا ما

---

[1] أبو القاسم الشابي: ديوانه، ص 67.

[2] عز الدين إسماعيل:التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، 1981،ص 154.

[3] ايليا الحاوي:الشابي شاعر الحياة و الموت ،ص 102.

يستخدم أعضاء الإنسان و أفعاله كطرف حسي أمام الطرف الثاني للاستعارة و للتدليل نورد هذه النماذج:

كذلك قال لي الكائنات و حدثني روحها المستعر
وقالت لي الأرض لما تساءلت يا أم هل تكرهين البشر

ألعن من لا يماشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر
فلم تتكلم شفاه الظلام و لم تترنم عذارى الشعر
لقد سحقتها اكف الظلام و قد رشفتها شفاه السراب
بل في التراب و في حزن الثرى تنمو مشاعرهم مع الأعشاب

فرأيت أ لوان الحياة نضيرة كنضارة الزهر الجميل النامي

فيظهر من خلال هذه الصور من استعارات و تشبيهات و مجازات أن الشاعر يبث الحياة في الجمادات و يبعث فيها من الحركة و ينسب إليها أفعال البشر و أعضاءهم ، فجعل الأرض و الظلام و الكائنات تتكلم ، و الزمان يمشي و السراب يرشف و المشاعر تنمو و الحياة لها ألوان و نسب للظلام فؤاد و شفاها و أكفا « و هذا الجانب الاستعاري يجتذب إليه المشبه و يقوم بخلخلة بنية التشبيه، و تتم بذلك عملية الصهر [1]».فهذه الصورة ليست موجودة في الواقع إنّما صاغها بما أحسته نفسه، لينصهر فيها ، وهذه الصورة الرومانسية الفعلية التي تتولّد من الخيال ، فلا الكائنات تتحدث و لا الغاب يتكلّم لكنّ الشاعر بقدرته التشخيصيّة يمنح للوجود حيويّة ليجعل بينهما علاقة ود و ترابط لتشاركه و تلازمه المعاناة التي يعيشها.

و في المقابل نجد أنّ شاعرنا رمضان حمّود لم تبلغ الصورة الشعرية عنده هذا المبلغ الذي حلّق به الشابي بخياله في الطبيعة وغيرها فهو لا يجهد خياله في ابتكار لمحات فنّية

[1] رابح ملوك ، بحث في بنية الصورة الشعرية و أنماطها عند الماغوط، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر ،2008 نقلا عن زكية يحياوي : الصورة الفنية في التجربة الرومانسية ، ديوان أغاني الحياة أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011، ص 72.

جديدة لصوره و لا يكلّف نفسه عناء البحث عن زاوية جديدة يلتقط منها مناظره بتجسيدها و تحريكها، يقول محمد الهادي بوطارن: « و الصورة الشعرية عند رمضان حمّود ،إذا التمستها في شعره أعياك وجودها إلا ّفيما نذر على الرغم من إلحاحه على ضرورة توفر هذا العنصر في العمليّة الشعرية على حدّ اعتبار أن الشعر لا طاقة له على امتلاك العقول و الأخذ بأزمة النفوس، إلا إذا أجادت تصوير تلك الوقائع التي يقوم بها في ميدان صدره[1]». فصوره تفتقد إلى عنصر المفاجأة و الابتكار و الدهشة لعد م اعتماده على خيال يسعفه باللمحات الفنيّة و الإشارات الذكية و الإيحائية ، إنما يعتمد على مخزون ذاكرته و ما حفظه من صور و قوالب ، امتازت بكونها حسيّة شكليّة ،إذ يميل إلى وصف الأشياء ،وصفا حسيا بالاعتماد على الحواس كالبصر و السمع و اللون ، و لا يبتعد بها إلى بواطنها و لا يتغلغل إلى معانيها و أسرارها التي تدرك بالخيال و هذه بعض من النماذج:

هم يذيب جوانحي فكأنّما في القلب جدوة نار
في بلادي ترى الهوان جبال فرؤوس الصغار منه تشيب
و الشمس عند شروقها من مهدها
أو ما تراها إذا بدت لعيوننا ياقوتة في قبضة الرحمان
انظر الى قمر السما متلألئ فكأنّه تاج من التيجان
و القبّة الزرقاء تحسب أنّها بحر خضم واسع الأركان

فنلاحظ أن الشاعر لا يجهد نفسه في البحث عن التغبيرات التي تضفي على الشيء الموصوف قوّة الأشياء المنظورة المحسوسة بنظرة سطحيّة عابرة فانظر مثلا كلمات: القمر كأنه تاج، القبّة الزرقاء كنها بحر لهي دليل على الحسيّة التي طغت على شاعرنـــا. و للتدليل على الفرق الفني بين الشاعرين في المستوى البلاغي سنقف على مقطع لكل منهما ،لقصيدة في نفس الموضوع و هو جمال الطبيعة ، يقول رمضان حمّود:[2]

انظر إلى الكون البديع بنوره و ظلامه و سكونه

[1] محمد الهادي بوطارن:رمضان حمّود شاعر التقليد و التجديد،ط1،حي كريفة،2007،ص 153.

[2] محمد ناصر : حمّود رمضان حياته و آثاره،ص 234.

و سحابه وسمائه متقطعا عند الغروب و هو احمر قان
مشتتا كالفلك في أمسائها فكأنّه قطع من المرجان
و نباتها المخضر مثل زبرجد يزهو بزهو الروح والريحان
وجداول تختال بين زهورها و مسي رها تنساب كالثعبان

فالصورة هنا تتجلّى فيها الحسية بشكل كبير، باستقصائه مظاهر الطبيعة التي تتجلّى في هذا الكون دون أن يترك مساحة للقارئ للشعور بجمالها و غرابتها ، لأنها لم تتعد السطح حيث وصف المناظر من حيث المظهر و لم يتجاوزه إلى أبعد من ذلك فالسحب المشتتة كأنها فلك و حمرتها كأنها قطع من المرجان و النبات المخضر مثل الزبرجد ، و الجداول تنساب بين الزهور كالثعبان إلى آخره من هذه التشبيهات المادية الخالية من رقّة الخيال تذكرنا بالتشابيه المعروفة عند الشعراء العباسيين، وربّما يعود سبب غياب الصورة المعقدة و التراكيب الفخمة إلى طبيعة توجهه الإصلاحي إذ يقول محمد ناصر: « فهو يتوجه بعمله الشعري إلى الغير لا إلى نفسه، و يلتفت أولا إلى الجمهور المتلقي الذي يهم أن يفهم عنه، و يقتنع بآرائه، و من ثمّ فهو يحاول أن يكون واضحا في ألفاظه و معانيه ليستوفي البساطة المتناهية في الألفاظ و التراكيب[1]».

و نلاحظ الفرق حينما نقرأ مقطعا للشابي فيقول:[2]

في الغاب سحر رائع متجدد با ق على الأيام و الأعوام
وشذى كأجنحة الملائك غامض ساه يرفرف في سكون سام
وجداول تشدو ا بمعسول الغنا وتسير حالمة بغير نظام
في الغاب، في الغاب الحبيب و انه حرم الطبيعة و الجمال السامي

فالشابي على عكس حمّود من الشعراء الذين تنصهر ذاتهم مع الموضوع ومن ثم تنطلق الشعرية بنسخ صور توحد بين الذات و الموضوع و يساهم في ذلك الخيال بتشكيل استعارات و تشابيه بعيدة عن الحسية و المادية ، فمن خلال هذا المقطع تستشف ذلك الخيال المجنح الذي يجنح بالصورة من الحسية العابرة إلى الروحية التي تغوص في

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث و اتجاهاته الفنية، ص287.

[2] يوسف عطا الطريف: الشابي حياته وشعره، ص 313.

الأعماق حاملة معها الغرابة و الجمال في نفس الوقت ، فهو يشبه الشذى بالملاك و هو تشبيه روحي لان الملائكة من الغيبيات التي لم يطلع عليها البشر ثم إنه نسب إلى الشذى السهو و هو خاص بالإنسان و الرفرفة و هي خاصة بالطير وشبه الجدول بالإنسان الذي يشدو و يسير ويحلم و هو تشبيه تصويري إيحائي و في الأخير يقرن سحر الكون بحزنه و أحلامه و هو تشبيه نفسي"فالاستعارة تتولّد عنده على غرار الرومانسيي ن فيما يحاول شعراؤه تخطي الواقع و تجاوزه و إحياء ما لا حياة فيه و الشابي قد يلم بالاستعارة و قد يحولها إلى مظهر من مظاهر التشخيص و الإحياء لكنّه لا يسرف فيها بالافتعال و الابتذال"[1]، و يمكن أن نخلص إلى أن الصورة عنده: صورة ناتجة عن حركة في الخيال ، فهي تحريك الموضوع الذي لا يملك حركة في الواقع[2]

3. المستوى الصوتي:

أ - ظاهرة التكرار:

إنّ من مظاهر جمال التناسق الموسيقي و التواؤم في الوحدات الموسيقية التي تتكرر في البيت ثم تمام الأبيات ضمن التكوين البنائي للقصيدة و أن تردد الوزن و القافية اللذان يشكلان وحدة بنائية في القصيدة المتولدة عن التكرار يمنح جرسا تطرب إليه النفس عند سماعه[3].

كما أن التكرار للوحدة الصوتية لا يتولّد عن التكرار الموجود في القافية و الوزن فحسب إنما يتولّد من تكرار الألفاظ و العبارات التي يتخيرها الشاعر ليؤدي وظيفة إيقاعية خاصة في بقية أجزاء القصيدة، فضلا عن الحلاوة التي تعطي للأسلوب و السمو في المعاني و العذوبة في الإيقاع ، فالتكرار هو تناوب الألفاظ و التراكيب و المعاني و أعادتها في سياق التعبير بحيث تشكّل نغما موسيقيا تقصّده الناظم [4]، و التكرار عند شاعرنا الشابي أخد هذا البعد و هذا المعنى و اتجه اتجاها فنيا لإحكام نسيج قصائده و بعثها في قالب نغمي جميل بفضل هذا التكرار حيث تمثل عنده في تكرار اللفظ

---

[1] ايليا الحاوي : الشابي شاعر الحب و الحياة،ص 103.

[2] نعيم الباقي : تطور الصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث ، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ،2008،ص 168.

[3] عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص ص 77-78.

[4] ينظر: ماهر مهدي هلال: جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي و النقدي ، دار الرشيد، بغداد،1980،ص 239.

و العبارة و الجملة، و لرصد هذه الظاهرة الفنية التي أخذت أبعادا دلالية مختلفة و التي كانت لها مساحة كبيرة في شعر الشاعر سنقف على بعض النماذج من شعره:

❖ **تكرار اللفظ نفسه:** إن تكرار لفظ ما و ترديده بكثرة يحمل معنى مختزنا يحاول الشاعر أن يركز عليه في سياق نظمه فمثلا عندما يقول الشابي في قصيدته إرادة الحياة:[1]

ظمئت إلى النور فوق الغصون ظمئت إلى الظل تحت الشجر

ظمئت إلى النبع بين المروج يغني و يرقص فوق الزهر

فتكرار لفظة "ظمئت" كثيرا ما تستسلم للتداعي حتى تؤدي وظيفة جمالية في الإيقاع و تحقق استمرارية لمعنى القصيدة و تتأكد هذه الاستمرارية عندما ينتقل التكرار من الصدر إلى العجز ثم إلى البيت الثاني.

كذلك عندما يقول أيضا:[2]

الكون كون شقاء الكون كون التباس

الكون كون ائتلاف وضجة و اختلاف

فالشاعر يلمّع اللفظة و يركّز عليها ليشد سمع السّامع ، فيكون هناك إيصال لنغم ايقاعي و معنوي.

فإذا عدنا إلى المثال الأول نستشف أن الإلحاح على مادة الظمأ يعكس نفسية الشاعر المتعطشة للحرّية، و في المثال الثاني يعكس نظرة الشاعر إلى الكون و إلى الحياة التي لم ير فيها إلا الشقاء و الألم، كما أن الشاعر يغير من تكرار الألفاظ نفسها إلى استعمال الضمائر أو استخدام سياقات نحويّة مختلفة فمرّة يرد اللفظ اسما و مرة فعلا و مرة صفة و أخرى حالا ، و هذا ما نقف عليه في قصيدة الكآبة المجهولة(كئيب، كآبتي، الكآبة، اكتآبي) و أيضا في قصيدة الرواية الغريبة(ضحك، مضحوك، ضاحك، ضحكنا، أضحوكة، يضحك)فتكرار مادة الضحك في هذه القصيدة إنّما هو رغبة الشاعر في التّعبير عن القيم المتدهورة التي يعني منها المجتمع و بحثه الدائم عن القيم السامية التي يجب أن تكون.

---

[1] أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، ص 32.

[2] نفسه، ص35.

❖ **تكرار العبارة لخلق صورة شعرية:** لقد ورد التكرار عند الشابي بإيراد عبارات مسترسلة تحمل وقعا نغميا و صوتيا عميقا لدى السامع يوطدها المعنى الذي تحمله بخلق صورة شعرية تزيد من جمالية وقعها و تؤكد على المعنى الذي يريد به الشاعر أن يصل إلى القلوب و أن يوصل رسالته إلى الشعوب ففي قصيدة النبي المجهول يقول الشابي:[1]

ليتني كنت كالسيول إذا سالت تهد القبور رمسا برمس
ليتني كنت كالرياح فأطوي كل ما يخنق الزهور بنحس
ليتني كنت كالشتاء ،اغشي كل ما اذبل الخريف بقربي

ففي كل مرة ترد جملة" ليتني كنت"مع حرف التشبيه"ك" لإعطاء بعد جديد للدلالة يخلق صورة جديدة ، فكان التشبيه بالسيول مرة و بالرياح و الشتاء مرة أخرى و هي صورة تدور حول محور الشاعر لما فاضت به نفسه، فكانت تعكس الواقع السيئ كما يراه و الواقع كما يريده أن يكون، حيث انصهرت روحه بروح شعبه المغلوب على أمره فلم تكفه صورة واحدة بل تعددت لتشير إلى مدى وعيه بضرورة التغيير.

أما حمود فقد كان استعماله لظاهرة التكرار تأكيدا منه للرسالة الموجهة في شعره فلم يأخذ التكرار معيارا فنيا أو جماليا بقدر ما كان له وقع في تأكيد المعنى المراد.

و كمعاصره الشابي استعمل حمّود تكرارا في اللفظ و آخر في العبارة للضرورة التي قاده إليها السياق الشعري في قصائده ذات الطابع الخطابي ، و هذا ما دفعه إليه دوره كمصلح و هو أيضا سبب تباين بينه و بين قرينه الشابي.

❖ **تكرار اللّفظ:** لقد تولّد تكرار اللفظ عند حمّود من حسرة سكنت قلبه مما يعانيه شعبه جرّاء الاستعمار الغاشم، وهذا ما جعله يمارس في شعره لغة الخطاب المباشر برومانسية ثائرة فنجده يكرر مادة " بكيت" في قصيدته" دمعة حارّة على الأمة" حين يقول:[2]

بكيت و مثلي لا يحق له البكا على أمّة مخلوقة للنوازل
بكيت عليهم رحمة و صبابة و إني على ذلك البكا غير نادم

[1] أبو القاسم الشابي ، ديوانه ،ص149.

[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره، ص 215.

فتكرار مادة البكاء خير دليل على تلك الحسرة الحاملة لكثير من الأمل.

❖ **تكرار العبارة:** لم تبتعد و لم تخرج دلالة تكرار العبارة عن تكرار اللفظ فكثيرا ما كانت ذات بعد خطابي مباشر كما إنها لم تأخذ ذلك البعد الفني كالذي لمسناه عند الشابي في الخروج بالعبارة من صورة شعرية إلى أخرى حيث يقول مثلا :

أمتي ...قومي و سيري للعلا أمتي ،فالويل حظ الجاهلينا

أمتي ...قومي فما هذا البلا فحماة العز بالعلم الثمين

فالتركيز على كلمة أمتي و الفعل قومي لدليل واضح على البعد الخطابي الذي عجّت به قصائده و أمثلة ذلك كثيرة.

ملاحظـــــــــة:

-لقد لمسنا عند دراسة ظاهرة التكرار عند شاعرينا وجود اختلاف حتى و لو اعتبرناه طفيفا إلا أن وقعه شديد يوحي بوجود فجوة فنية واسعة بين الشاعر التونسي و قرينه الجزائري، حيث تكمن هذه الفجوة في وجود ذلك الكم الهائل من الصور و الإيحاءات و الجماليات الفنية التي تضمنا التكرار في ديوان أغاني الحياة و التي آثرت بطريقة غير مباشرة في استخلا ص و استنباط و البحث عن القيم السامية من قيم متدهورة في حين رأينا انه و رغم قلّة عدد القصائد التي قدمها حمود إلا أن ظاهرة التكرار في شعره وازت ما جاء به الشابي في ديوانه من حيث كثرة الاستخدام و لكن تخالفه في كون حمّود أراد من خلال تناولها أن تكون واجهة لتحقيق تلك القيم السامية الحاملة لكثير من الأمل من خلال خطابه المباشر و إلزامية تطبيقها بالتأكيد عليها دون اللجوء إلى الإيحاء و الترميز.

-أن ظاهرة التكرار قد أريد بها إثراء الشعر وشحذ الشعور إلى حد الامتلاك.

ب -ظاهرة التّضاد:

إنّ بناء القصيدة في ظل التناقضات و إحداث نغمة التضاد فيها ، قد ميّز كثيرا من الشعر ، وساد الصورة الشعرية في تصوير موقف أو تشكيله حتّى يؤثر في المتلقي فإحداث الاضطراب و الخلخلة سواء على مستوى الألفاظ أو الصورة يعطي بعدين للمعنى و الدلالة، فأمّا الأول؛ فما هو إلا جمالية أضفاها الشاعر إلى المغنى بتوظيفه التّضاد ليحقق جرسا موسيقيا و رنّة صوتية تترك أثرها لدى المتلقي ، و التي تبرز من خلال

تلك العلاقات المتولّدة سواء بالانتقال من صورة ضعف إلى صورة قوّة، أو من صورة جمال إلى صورة قبح أو العكس، أمّا الثاني؛ فهو لفت انتباه المتلقي و تنبيهه و الإلحاح عليه لإقناعه بالموضوع.

و شاعرانا لم يكونا على اختلاف مع غيرهما من الشعراء في استعمال هذه الظاهرة و إنما اختلفا في هدفها و طريقة نسجها، فهذا الشابي يقول:[1]

فوجدت أعراس الوجود مآتما ووجدت فردوس الزم ان جحيما

تتلو أقاصيدها التعاسة و الأسى و يصير أفراح الحياة هموما

يدعو الحياة فلا يصيب سوى الردى ليدسه و تحت التراب رميما

فهنا يتضح لنا الواقع النفسي للشاعر مرتبطا بالواقع الاجتماعي في وجه من التضاد محاولة منه لتقريب عالمه السماوي الذي ينشده بالعالم في الواقع ، فهذا التناقض الذي التزمه في الأبيات إنما هو تغطية حالة شعورية طاغية لدى الشاعر فلما يدرج الشابي ألفاظ { الأعراس ، الفردوس، الأناشيد ، الأفراح و الحياة} إنما ابتغى من خلالها عالمه السماوي كما يجب أن يكون و عندما يقرنها بألفاظ مضادة لها مثل{ المآتم، الجحيم، التعاسة ، الهموم و الردى} إنما ابتغى بها تصوير الواقع المرير وربط بينها ليبين ذلك الفرق بينهما ، فعندما تتحول الفردوس جحيما و الأفراح هموما و الحياة موتا و الأعراس مآتم ، يبرز لنا ذلك الخلل القابع في نفسه، و الحيرة و التردد التي يعيشهما بين واقع متقهقر متمرد يعذبه و بين أحلام يتمناها أن تكون كي تسعده ، و لذلك فالرابط بين طبيعة التضاد كظاهرة و معنى حقيقة السياق الذي اقتضى هذا الاستعمال سيفضي بنا إلى القول بأنه ربط بين واقع كما هو بما فيه من حقارة و دناءة و بين الحلم والأمل في التغيير و لذلك فالشاعر ا ستخدم التضاد في رحلة بحثه عن قيم أصلية أصيلة في عالم تسيره قيم متدهورة.

وهذا ما خلق في القصيدة توازنا و جمالا موسيقيا من خلال ذلك التمازج و التوالد بين أجراس الألفاظ و التي تأرجحت بين القوّة و الضعف ، الجمال و القبح، الحزن و الفرح.في حين نجد حمّود رمضان يقول:[2]

---

[1] يوسف عطا الطريفي: الشابي حياته و شعره ، ص 221.

[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره، ص243.

إذا كنت في امّة قد رأت سني العلم فيها بعين الجفاء
ترى العلم و الجهل في ريعها تجسم ذاك و هذا هباء
تسير على الغي في سرعة ولم تبصر النقص في الكبرياء
ولم تعرف الحق من باطل عدو وخل لديها سواء

فنجد أن الشاعر أدرج التناقض في هذه القصيدة بين واقع و واقع فعندما يوظف ألفاظ مثل{ الجهل ، الغي ، النقص، الباطل، العدو} و يقرنها بألفاظ{ العلم ، الكبرياء، الحق، الخل} فانّه يتلاقى مع الشابي في إيراد الألفاظ المتناقضة و لكنّه يختلف عنه في كونه ناقض واقعا بواقع فألفاظ كهذه لا تحتاج إلى السباحة في الخيال لإدراك كنهها و استيعابها بينما الشابي ناقض خيال بواقع.

ولم تكن ظاهرة التّضاد عند حمود تأخذ ذلك المنحى الكبير و الجنوح الشديد نحوها و هذا ليس لقلّة إنتاجه و إنما مردّه ميل خطابه إلى المباشرة فان كانت هذه الأبيات تعطي صورة متناقضة فهي موجودة في الواقع ،خلقت في نفسه حالة شعوريّة لواقع مزر، فجاءت ظاهرة التضاد عنده مستسلمة في سياق شعري تطلبه الموقف حيث نزل بالنص الرومانسي من عليائه المجازي التخيلي إلى ضفاف التقريرية و المباشرة و السيولة.

ومنه يمكن أن نخلص إلى مجموعة من الملاحظات:

1. تفاوت بين الشاعرين في توظيف ظاهرة التّضاد من الناحية الفنية.
2. الشابي يبرز التناقض بين الواقع و ما يجيش في خياله بينما حمّود أبرز التناقض بين الواقع و ما فيه من ظواهر.
3. تلاقى الشاعران في إبراز جمال القيم الأصلية و قبح القيم المتدهورة من خلال التّضاد.

ج – الرّوي:

تقوم الموسيقى الشعرية بدور المساعد للعبارة اللغوية على تحقيق الغاية مع التأثير ونقل المشاعر و الأحاسيس، بطريقة موحية إلى المتلقي و الإيقاع هو بناء كيان متكامل يقوم على جمع صياغة الألفاظ و العبارات ، و لهذا تعدّ ظاهرة الرّوي من الظواهر الفنية الفريدة في الإيقاع الخارج ي للقصيدة ؛ حيث يعتبر الروي من أكثر الحروف شيوعا كقافية ؛ فقد يؤدي وظيفة جمالية أو دلالية أو حتّى سيميائية ، فيحدد بذلك دوره في الإيقاع

و علاقته بكل العناصر المكوّنة للنص الشعري ، فهو عنصر صوتي شأنه في ذلك شأن الوزن و القافية ، ونحن هنا بصدد التركيز على دلالة حرف الرّوي في شعر شاعرينا دون أن نركّز على الوزن و القافية، وهذا حتّى نرى ذلك التوافق في استخدامه موافقا لمسعى و متن القصيدة عند كليهما ، و هذا من خلال ثلاث قصائد اخترناها و سنحاول من خلالها استنباط دلالة حروف الرّوي عندهما و التوافق بينهما و هذه القصائد سنحددها في هذه الثنائيات:(السآمة/وحي الضمير)،(الغاب/ جمال الكون و بدائعه)،(إرادة الحياة/نغمة الشباب).

- ✓ (السآمة/وحي الضمير):

فمن خلال قصيدة السآمة التي مطلعها:[1]

سئمت الحياة و ما في الحياة و ما ان تجاوزت فجر الشباب

و قصيدة "وحي الضمير" لحمّود و التي مطلعها:[2]

سئمت الحياة و عفت الشباب و لم أر في العيش ما يستطاب

نلاحظ أن حرف الروي عند كليهما هو { الباء الساكنة } ، هذا الحرف الذي هو صوت شفوي و قفي غير نفسي [3]أي انه من الحروف التي تعمل عل تكوين قفل في التجويف الفموي باعتراض عضو أو أكثر من أعضاء النطق حيث يتوقف تيار الهواء المندفع لأعلى و تسريع تيار الهواء فجأة [4] ، وهذه الحركة يمكن أن نشبهها بحركة التنهد، التي تنجم عن قلق نفسي و حزن روحي ، ولذلك أخذ هذا الحرف دلالة متوائمة مع مضمون القصيدة و هو الكآبة و زاده السكون قوّة في الدلالة بتحوّله إلى قافية مقيدة، فتكرار حرف { الباء } على طول القصيدة شكّل بؤرة مركزية متوحّدة الإيقاع لسعي منهما للتوحد مع ذاتيهما بإخراج ما فيها من حزن مطبق و مع الآخرين بتنبيههم ليصبحا قوّة فاعلة ضدّ الحزن و الكآبة التي في نفسيهما و الظلم و الجهل الذي يريانه في المجتمع

---

[1] أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة،ص 66.

[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره، ص248.

[3] سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) ، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة:محمد محمود غالي،ط1،النادي الثقافي الأدبي ، جدة، السعودية،1973،ص 52.

[4] نفسه،ص 53.

حيث تناسب هذا الحرف المطبق مع زفرات قلبيهما المعذبين و تناسب بصفته الانفجارية مع سخطهما على المجتمع.

وهكذا يكون الشاعران قد توافقا في اختيار حرف روي مناسب لحالتهما الشعورية و لموضوع ملائم له هو الكآبة.

✓ (الغاب/ جمال الكون و بدائعه):

ففي قصيدة الغاب التي مطلعها:[1]

بيت بنته لي الحياة من الشذى و الظل و الأضواء و الأنغ ام

و قصيدة جمال الكون و بدائعه التي مطلعها:[2]

لله ما أبهى الطبيعة إنها ملكت علي مشاعر الوجدان

فالملاحظ لهاتين القصيدتين يجد أن موضوع الطبيعة سيطر على مضمونهما بإبراز جمال الطبيعة و سحرها و اشتركا في دلالة حرف الروي الذي استخدماه ، فاستخدم الشابي { الميم} و استخدم حمّود { النون المكسورة } وهما حرفا متشابهان في صفة التوسط، وكثيرا ما يعبّر هذان الحرفان ومعهما الكسر على مشاعر الغبطة و الارتياح ، بما في جرسها من وقع لين ترتاح إليه الأذن و هذا ما يبرز تعلقهما بالطبيعة و تعلقهما بالأمل الذي تمثل في الارتياح بجنبها.

و لذلك بدت الموسيقى راقصة متحركة . فهاتان القصيدتان المحددتان في روي الميم و النون لا يمكن عزلهما عن دلالة النص فعلى المستوى الصوتي تنسجم خصائص هذين الحرفين الصوتية و صفاتهما مع مقصدية الشاعر و إحساسه بالرّاحة، متمثلة في ذلك التوازن النفسي الذي يخلقه عندهما جو الطبيعة و لو عدنا إلى الوحدات المعجمية التي تحوي حرف الميم و النون نحال إلى ذلك التوازن و الارتياح فنجد عند حمّود كلمات { الروحاني ، الفتيان، المرجان ، العقبان، جنان، لمعان، التيجان} و عند الشابي كلمات { الأنعام ، الإلهام، الانسام، الأحلام، سلام ، السامي}، و بالتالي يكون الشاعران قد وفقا في تمثيل الاتجاه الرومانسي حتّى على المستوى الصوتي و الذي يرى في الطبيعة ملاذا قدسيا يبعث على السكينة و الرّاحة.

---

[1] أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة،ص 313.

[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره، ص234.

✓ (إرادة الحياة/نغمة الشباب):

إرادة الحياة و مطلعها:[1]

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

و نغمة الشباب و مطلعها:[2]

نهوضا نهوضا بني جلدتي إلى م ونحن في طي الخبر

نلاحظ أن كلا الشاعرين اختار لموضوع قصيدته و المتمثل في الثورة و الطموح حرف {الرّاء} كحرف روي، كشف ما بداخلهما من غليان ن فمن ملامح صوت الرّاء الساكنة التكرار بالإضافة إلى صفة الجهر التي يتذبذب الوتران الصوتيان في إنتاجه، كما انه من الحروف الرنانة التي تتسم بوضوح سمعي أكثر من نظائره من الصوائت؛ هذا من جهة ، و إذا عدنا إلى قول اللغويين الذين رصدوا في الدرس الصوتي الحديث أبرز الملامح الدلالية للأصوات المفردة، بأن صوت الراء يغلب وروده في الكلمات التي تدل على الحركة و الاضطراب و الغضب و الشدّة، فنجد هذه الدلالات توفرت عند كلا الشاعرين في معاني النهوض و الصراخ و الاستغاثة ، ولم يبق حرف الروي " الراء" صوتا محصورا في كلمة القافية بل امتد إيقاعه على المساحة السياقية للأبيات و أثرها في معناه ، و إذا عدنا إلى القائلين بأن الراء صوت من أصوات الطبيعة نجد شاعرينا عبّرا عن هذه الدلالة ، حيث تدعم صوت الطبيعة و صفاتها مع صوت الرّوي ، فنتج عنه إيقاع لفظي، و طبيعي و ثوري تمثلا في المادة المعجميّة التالية{ الشجر ، الحفر، المطر، السحر، القمر، التمر، الفجر) .

و بالتالي يكون الشاعران قد وفقا و توفيقا في تمثيل رومانسية ثائرة متململة في رومانسية حالمة داخل قصيدة ثورية خلق فيها حرف الراء دلالات موسيقية و لفظية منسجمة مع أصوات الطبيعة.

و إذا عدنا إلى هذه الثنائيات الثلاث وجدنا أن حرف الروي كان يتدرج بين الراء و الميم و النون و التي هي من الأصوات المائعة الرنانة لأنها تنتمي إلى مجموعة أشباه الحركات

[1] أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة،ص 240.

[2] محمد ناصر:حمود رمضان حياته و آثاره، ص215.

فتلاءمت مع قصائد فيها حركة بالدعوة إلى النهوض و الطموح و الرغبة في التغيير و السير إلى العلا.

خاتمة

خاتمـــــــــــــة

* إنّ إعداد دراسة حول موضوع ما يتطلّب من كل باحث مقبل عليه، أن يقلّب و ينقّب فيه حتى يستجلي غوامضه ليخرج بنتيجة تسرّ قلبه و تحصي حقّ جهد جهيد من عمل و مواظبة ، وهذا ما خلصنا إليه من خلال ما عالجناه في موضوعنا ،لآثار الرومانسية في الأدب العربي وبالتحديد في أدب المغرب العربي وبدقة أكبر بين الشاعرين "حمود" و"الشابي حيث خلصنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي :

- أن الرومانسية ظهرت كمذهب في الأدب العربي تبعا للظروف الاجتماعية والسياسية المتردية التي كانت ترزح تحتها هذه البلدان ونتيجة التأثر بأدب الشعراء الغربيين .

-.أن المذهب الرومانسي لقي صدى كبيرا في الجزائر مع حمود رمضان وفي تونس مع الشابي نتيجة عوامل وظروف منها التأثر بالمشارقة ، التأثر بالغرب ، حيث كانت دعواهما التجديدية متوجهة نحو هذا المذهب. فكان المذهب الرومانسي موازيا لرغبة الحرية والثورة التي كانت تتقد في شعراء هذه الأوطان وكانت نزعتهما الرومانسية واضحة من خلال تصورهما لمفهوم الشعر وربطه بالوجدان والشعور الصادق.

-أن الشاعرين الشابي وحمود جمعت بينهما صدفة الحياة في كثير من المواقف والأحداث منها:

-المرض في ريعان الشباب حيث أصيب الشابي بداء تضخم القلب وأصيب حمود بداء السل . وقضي كل منهما نحبه وهو في العشرينات.

-كلاهما واجه محنة وطنية وقومية تمثلت في الاحتلال الفرنسي .

- أن أوجه الشبه بينهما كانت في النشأة والثقافة وفي النزعات النفسية والفلسفية والقضايا القومية ولهذا جاءت الموضوعات المتناولة في شعرهما متوافقة فتحدث كلاهما عن :

– الصراع بن القديم والجديد ،عن الشعب ،عن الحرية ، عن الدعوة إلى العلم وإلى المجد ،عن التمسك بالحق.

– عن القلب وعن الدهر.

– عن الطبيعة ، عن الطفولة والأمومة.

–أن كلاهما رغم ما اكتنف شعرهما من مسحة الحزن والتشاؤم والكآبة إلا أنه كان ينبئ عن ذلك الأمل المزروع في قلب كليهما ، أمل في الحياة ، أمل في الحرية ، أمل في تغيير الأوضاع ، أمل في زرع القيم السامية .

أما مواطن التباين فقد برزت على المستوى الفني من خلال الألفاظ والعبارة والأسلوب فبدا تفوق الشابي واضحا حيث بدا شعره مكتملا من الناحية الفنية وهذا ما لم يصل إليه حمود حيث لاحظنا على :

- المستوى المعجمي :أن الشابي كان يتلاعب بالألفاظ ويعطيها بعدا انزياحيا وتغريبا معنويا وجمالا لفظيا بينما حمود كانت ألفاظه بسيطة ومباشرة .
- المستوى البلاغي: أن الصورة الشعرية عند الشابي كانت تأخذ بعدا حركيا وروحيا وخيالا خصبا مجنحا يرقى بالصورة الشعرية إلى الجمال الفني. والأدبي بينما ظلت عند حمود ذات طابع حسي مادي أكثر منه روحي مع بعدها عن الخيال المجنح.
- على المستوى الصوتي :أن ظاهرتي التكرار والتضاد عند الشابي مالت نحو الجمال الفني والجرس الموسيقي وهذا ما غاب عند حمود حيث كان التكرار عنده يهدف إلى التأكيد على المعنى وتوصيله دون ترميز أو إيحاء .
- أن كلاهما توافقا في اختيار حرف روي متشابه منسابا مع زفرات نفسيهما منسجما مع موضوع القصيدة.

–أن الشابي كان يسبح في علياء النص الرومانسي الحالم بينما حمود كانت تميزه رومانسية ثائرة تميزت بتوجيه الخطاب المباشر .

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المصادر و المراجع

01 – أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ،دط ، الدار التونسية للنشر ،1970.

02 – أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب.، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1975.

03 – أبو القاسم محمد كرو : الشابي حياته وشعره ، دط ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1973.

04 – أحمد شوقي الرفاعي : الشعر الوطني الجزائري من سنة 1925–1954 ، دط،دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ، الجزائر ، 2010 .

05 – أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، ط 1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 2001.

06 – أمال فريد الرومانسية في الأدب الفرنسي ، دط ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دت.

07 – أمين الريحاني : الريحانيات ، ج3 ، طبعة بيروت ، 1972.

08 – أمين الريحاني : هتاف الأودية بذور للزارعين ، الكتابات الشعرية ، دار الجيل بيروت ، 1989 .

09 – إيليا الحاوي : أبو القاسم الشابي شاعر الموت والحياة ، ج 2 ،ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1972.

10 – جمال الدين الرمادي: خليل مطران شاعر الأقطار العربية،ط 2،دار المعارف ، القاهرة .

11 – حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ،ط 1 ،دار الجيل بيروت ، لبنان ، 1986.

12 – خليل مطران : ديوان الخليل ، ج1 .

13 – دونكان هيث وجودي بورهام : أقدم لك الرومانسية ، ترجمة : عصام حجازي ، ط4 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2002.

14 – رمضان حمود : بذور الحياة ، دط ، تونس ، 1928.

فهرس المصادر و المراجع

15 – زين العابدين السنوسي : الشابي حياته وشعره ، ط ، دار الكتاب الشرقية ، تونس ، 1956.

16 – سلمان العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية ،ترجمة : ياسر الملاح ،مراجعة :محمد محمود غالي ،ط1،،النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1983.

17 – سلمى الخضراء الجيوسي : الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 2008.

18 – شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، دط ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ن الكويت ، 1999.

19 – صالح خرفي : حمود رمضان الشاعر الثائر ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986.

20 – عادل فريحات إضاءات في النقد الأدبي ، ط ، دراسة منشورات اتحاد العرب ، مطبعة الأنوار للطباعة ، دمشق ،1980.

21 – عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ، ط 2 ، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، 1972.

22 – عبد الرحمان شكري : ديوانه ن جمع وتحقيق : نقولا يوسف ، دط ، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

23 – عبد العزيز المقالح : عمالقة عند مطلع القرن ، ط 2 ، منشورات دار الآداب ، بيروت ن 1977.

24 – عبد العزيز عتيق: النقد الأدبي الحديث، ط 2 ، ن دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1972.

25 – عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

فهرس المصادر و المراجع

26 – عز الدين اسماعيل : التفسير النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت ، 1981.

27 – فؤاد القرقوري : أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها ، دط ن الدر العربية للكتاب ن 1988.

28 – فؤاد المرغي : المدخل إلى الآداب الأوروبية ، ط 2 ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، دت.

قائمة المصادر والمراجع:

29 – ليليان –ر– فرست : الرومانسية ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ن 1983.

30 – ماهر مهدب هلال : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1980.

31 – محمد البشير الإبراهيمي : عيون البصائر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963.

32 – محمد الفاضل بن عاشور ك الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، ط ، الدار التونسية للنشر ، 1972.

33 – محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ط1 ، المطبعة التونسية للنشر ، 1926.

34 – محمد الهادي بوطارن: رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، ط 1 ، حي كريفة ، 2007.

35 – محمد بن سمينة : في الأدب العربي الحديث بالجزائر الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، دط ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر ، 20036.

36 – محمد صالح الجابري: الشعر التونسي المعاصر 1870–1970، دط ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، 1974,

37 – محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية،دط ، مطبعة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دت .

فهرس المصادر و المراجع

38 – محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجيةالتناص)،ط 1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت ،1985

39 – محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، دط ،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دت .

40 – محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته الفنية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998.

41 – محمد ناصر : حمود رمضان حياته وآثاره : طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، دار هومة ، الجزائر ، 1998.

42 – نعيم اليافي : تطور الصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث : منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2008.

43 – يوسف عطا الطريفي . أبو القاسم الشابي ، حياته وشعره ، ط 1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2009.

المجلات والجرائد :

01 مجلة : إضاءات نقدية ، السنة 1 ، عدد 04 ، شتاء كانون الأول ، 2011.

02 مجلة : جامعة دمشق ، مجلد 24 ،عدد 3و4، 2008.

03 الشروق اليومي : من المئوية الأولى للأديب الثائر حمود رمضان (إخلاصه لوطنه يستوجب وقفات للتذكر)21 –08– 2006

الرسائل الجامعية:

01: مظاهر الإبداع الفني في شعر أبو القاسم الشابي : رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، إعداد عزيز لعكا يشي ، إشراف : د سعد الدين الجيزاوي ، جامعة قسنطينة ن معهد الآداب والثقافة العربية ، 1980.

فهرس المصادر و المراجع

02- الصورة الفنية في التجربة الرومانسية ديوان أغاني الحياة أنموذجا: مذكرة لنيل شهادة الماجيستير ، إعداد : زكية يحياوي ، إشراف: محمد الهادي بوطارن،جامعة مولود معمري ، كلية الآداب واللغات ، 2011.

فهرس

فهرست المذكرة

- **مقدمة**.....أ/ب

I. **الفصل الأول:الرومانسية و أثرها في الأدب العربي.**

1 - **المبحث الأول:** مفاهيم في الرومانسية.....**08/03**

2 - **المبحث الثاني:**مقاربات بين الرومانسية الغربية و الرومانسية العربية.....**24/09**

II. **الفصل الثاني: الرومانسية في أدب المغرب العربي**

- مدخل.....**26/25**

1 - **المبحث الأول:** الرومانسية في الشعر التونسي الحديث(الشابي).....**44/26**

2 - **المبحث الثاني:** الرومانسة في الشعر الجزائري الحديث(حمّود).....**55/44**

III. **الفصل الثالث:الرومانسية بين أبي القاسم الشابي و رمضان حمّود**

1. مدخل.....**56**

1. **المبحث الأول:** أوجه التشابه و التباين من حيث الموضوعات المتناولة....**75/56**

2. **المبحث الثاني:** أوجه التشابه و التباين من حيث الظواهر الفنّية.....**93/75**

- **خاتمة**.....**94/93**
- **فهرس المصادر و المراجع**.....**98/95**
- **ملاحق.**